الرابطة
ميثاق

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل يوم جمعة . الثمن : 3 دراهم

السنة 35 ـ العدد 976 الجمعة 18 ذو القعدة 1422هـ ـ الموافق 1 فبراير 2002م

كلمة العدد

الإسلام دين المساواة بين الأفراد والجماعات

دعا القرآن الكريم إلى الألفة العامة بين الشعوب لا فرق بين أبعدها وأقربها، ولا بين أسودها و أبيضها مقررا أن مدار الكرامة ليست بالانتماء إلى هذه الأمة أو تلك، ولكن بالمميزات الأخلاقية والفضائل السامية والمزايا الحميدة، وهدفه من ذلك تأليف أمة إسلامية موحدة تذوب فيها الفوارق الاجتماعية، ليتألف من مجموعها أمة تكون المثل الأعلى لما يجب أن يكون عليه المسلمون المؤمنون.

وقد قام رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، بالدعوة إلى هذه الفضائل الكريمة، فتحقق لكل من أجاب لدعوته العالمية ما يصبو إليه من إصلاح النفس وتهذيبها وبناء مجتمعه على أسس تتجاوب مع الفطرة وتصلح الحال والمآل. والإسلام بدعوته إلى هذه الأعمال المثالية يطلب من المؤمن أن يكون عنصرا صالحا لبلده ومجتمعه ودنياه وآخرته، فعلى المؤمن أن يعتقد أن الناس كلهم من آدم، وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ سورة الحجرات / الآية:13.

ومن هذا يتبين أن الإسلام جاء بمساواة عامة وديمقراطية شاملة بين جميع الناس، فقد جاء في السير أنه، صلى الله عليه وسلم، ولى بلالا المدينة وفيها من وجوه الصحابة وأجلاء ساكنة المدينة العدد الكثير، تلك الوجوه التي لايختلف اثنان على فضلها ومكانتها وعلو كعبها. كما ولى الرسول، صلى الله عليه وسلم، أسامة بن زيد . على جيش كان فيه أبو بكر وعمر وولى باذان الفارسي إقليم اليمن وهي أخصب بلاد العرب، والأمثلة على المساواة في الإسلام كثيرةجدا لا تأتي تحت حصر. ومن أشهر أقواله، صلى الله عليه وسلم، في ذلك: «لقد أذهب الله عنكم رجس الجاهلية وتفاخرها بالأنساب، ليس لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى أو بالعمل الصالح» .

وسار المسلمون بعده، صلى الله عليه وسلم، على هذه السنن الحميدة، فلم يفرقوا في المعاملة بين الناس بحسب أصولهم، بل تركوا الحكم للمزايا الخلقية والمميزات الحميدة. فها نحن نجد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أمر صهيبا أن يصلي بالناس ومعلوم أن الصلاة من أركان الإسلام الخمسة ويشترط فيمن يختار للإمامة بالناس أن يكون من أهل العلم والورع والاستقامة إلى غير ذلك من الصفات المطلوب توفرها في الإمام . ولا يخفى على أحد من هو صهيب؟ وما هي سلالته؟ لكن عندما ظهرت كفايته واستقامته وأهليته قدمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. رضي الله عنه. لما هو أهل له من التمييز بالفضل، ومن أعظم ذلك اختياره إماما لجماعة المسلمين للقيام بتطبيق ركن من أركان الإسلام الخمسة. أليس هذا دليل على أن الاسلام ليس دينا عنصريا، وإنما دين ينظر إلى مميزات الإنسان وأخلاقه بعيدا عن انتماءاته العرقية محققا بذلك المساواة العظمى التي جاء بها القرآن الكريم في أكثر من آية ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾. الآية.

● فضيلة الشيخ ماء العينين لارباس . الأمين العام بالنيابة

أمير المؤمنين رئيس لجنة القدس يقول : «إن مساندتنا للشعب الفلسطيني الشقيق كاملة حتى تتحقق مطالبه العادلة وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف»

علماء المغرب ينددون بقرار السلطات الصهيونية في محاكمة سماحة مفتي القدس

الانتصار لمذهب مالك

رسالة الإمام مالك إلى الخليفة هارون الرشيد

مواقف مضيئة للإمام مالك رحمه الله تعالى

■ إعداد: ذ. عبد الله بن الطيبي كديرة

ايها السادة الكرام، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أشعر بالفخر والاعتزاز وانا أقف أمامكم ومعكم لنعيش جميعا لحظات تفيض بالنور، وتشع بالضوء علينا، من حياة إمام دار الهجرة، التي ينبع منها فيض اليسر، ويسري منها عبير السماحة، ويتلألأ منها نور العزم الراسخ على اتباع ما كان عليه الأمر في العهد الأول للإسلام: عهد النبوة الرائدة، ثم الخلافة الراشدة.

وإلى جانب شعوري بالاعتزاز والفخر، فلا اكتمكم أيها الأعزة أنني تعتريني الآن رجفة الهيبة، لأنني - على قصوري وضعفي وقلة زادي من العلم - اتطاول إلى الحديث عن إمام الأئمة «الذي وسعت حياته ثلاثة أجيال كبيرة، وثلاثة عشر خليفة ... سادن أمين للسنة كانه معلم من معالم الطبيعة، كالجبل أو كالبحر. ولما جلس إليه ستة من الخلفاء، فيهم ثلاثة من أعلم الخلفاء، وأعظم العظماء، في يدهم مصاير القارات والحضارات....» فذلك تحقيق وتصديق لقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حين أخبر ان الناس ستضرب أكباد الإبل فلا تجد إلا عالم المدينة.. ولم تعرف المدينة عالمها - وعلماؤها لا يحصون - الا إمامها مالك بن أنس رحمه الله، ولد بها، ونشأ، وتربى، وربى، وتعلم، وعلم، ولم يبرحها إلى أي بلد آخر. إلا إلى حج أو عمرة.

أيها الاخوة الكرام، إن مما يشفع لي في تطاولي للحديث عن عالم المدينة وإمامها، انه - رضي الله عنه - بشرى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته، فهو ممن يذكرون فيذكر الله، وتتنزل بذكرهم الرحمات، وتعم البركات .... وكفاه فخرا يجلله ويعطر ذكراه وذكره أنه عاش بالعلم وله .. وعرف كيف يتلقاه، وكيف ينشره، وتوفي سنة تسع وسبعين ومائة للهجرة باتفاق الأقوال، فكانت مدة حياته المباركة ستا وثمانين سنة، كلها حافلة بالمواقف المضيئة والجوانب المنيرة بالعلم والعمل... العلم يرحل إليه، والعمل به يحمل عنه.. فقد اقتصر رضي الله عنه على الاخذ والعطاء (ممن) ولمن يفدون على الحجاز من علماء ومتعلمين للحج والزيارة.

لقد قلت: إن حياته المباركة رحمه الله تعالى كانت كلها مواقف مضيئة وجوانب منيرة، ولا احسبني في ذلك مغاليا ولا مبالغا، فقبل مولده كان بشرى نبوية يحملها ضمير الغيب جيلا بعد جيل لتتحقق في موعدها المقدور معجزة لرسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فقد أخرج الترمذي وغيره عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه أنه قال: "يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة" قال الترمذي: حديث حسن، وصححه القاضي عياض في المدارك واستقصى طرقه وألفاظه. وقال العلماء من المعاصرين لمالك من نظرائه وتلاميذه: إنه مالك بن أنس.

بل إن مولده كما أخبر به مؤرخو حياته، وحدث به عارفو مناقبه يمكن اعتباره حادثة فريدة ينبغي ان يحقق فيها العلم فقد جاء في المجلد الأول من صفة الصفوة للامام ابن الجوزي رحمه الله تعالى: "عن محمد بن عمر، قال: سمعت مالك بن أنس يقول: قد يكون الحمل ثلاث سنين، وقد حمل ببعض الناس ثلاث سنين، يعني نفسه، قال: وسمعت غير واحد يقول: حمل بمالك ثلاث سنين... فهذا جانب مضيء من حياته قبل مولده يشغل الناس بعد موته فيستفيدون منه علما ينفعهم في دينهم ودنياهم.. النافين منهم والمثبتين.. والمهم فيه هو موقف الاجتهاد المأجور، خطأ كان أم صوابا.. ولسنا نريد بإيراد هذا الجانب أن نضفي على حياة هذا الامام العظيم ظلا من العجائب والغرائب، فالأحرى بنا ونحن نتحدث عن أضواء جوانب حياته وأنوار مواقفه خلالها، أن نزيح عنه هذا النوع من الظلال، وإنما هو قول أوردناه لمحمد بن عمر الواقدي قال إنه سمعه من مالك رحمه الله.. ومعلوم أن الإمام مالك رحمه الله تعالى قد بنى عليه رأيا فقهيا يقول عنه العلماء: "إن ذلك الرأي استمده من أخبار بعض الأمهات أو من أقوال نسبت إلى بعض نساء السلف الصالح، فلسنا نستطيع أن نأخذ به، لأن الطب يقرر أن الحمل لا يمكن أن يمكث في بطن أمه اكثر من سنة.. والاستقراء مع المراقبة الدقيقة يجعلنا نؤمن بأن الحمل لا يمكن أن يمكث في بطن الأم اكثر من تسعة أشهر". ومن يدري؟ فقد يأتي تطور الطب بالاستقراء والمراقبة الدقيقة على مرور الزمن بالمزيد من الجديد في هذا الأمر، مما يؤكد النفي، أو يثبت الاثبات.. وتلك حياة العلماء عموما.. وتلك حياة الإمام مالك على وجه الخصوص.. مجال خصب، ومعين ثر، من البحث العلمي.. وسيل ينفع ولا يضر، ويبني ولا يهدم، ويعمر ولا يدمر، من المعلومات النافعة دينا ودنيا...

قلنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بشر به قبل ان يتكون نطفة في صلب ابيه.. وقد واكبته هذه البشرى في حياته رضي الله عنه من خلال رؤى رآها في منامه، ورآها له وعنه الصادقون الصالحون ممن عاصره.. ورؤيا الصالحين الصادقين جزء من النبوة كما تعلمون أيها الأعزة، ولا أظن أن هناك من يجادل فيها أو يماري، وقد ورث الامام مالك حقا حدث رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وقد نشره فعلا في أمته.. وذلك هو واقع تأويل ما رأى أو رئي له .. جاء في حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم الاصفهاني رحمه الله تعالى: ...

عن خلف بن عمرو ... قال خلف: دخلت على مالك، فقال لي: أنظر ما ترى تحت مصلاي أو حصيري، فنظرت فإذا أنا بكتاب، فقال: اقرأه، فإذا فيه رؤيا رآها له بعض إخوانه: فقال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في المنام في مسجده قد اجتمع الناس عليه، فقال لهم:إني قد خبأت لكم تحت منبري طيبا أو علما، وأمرت مالكا أن يفرقه على الناس، فانصرف الناس وهم يقولون: اذن ينفذ مالك ما امره به رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ثم بكى، فقمت عنه".

- مالك يرى له إخوانه الرؤى فيكتبونها ويحملونها إليه...

- يصدقون الرؤى، ويصدق هو معهم.. لأنها رؤى بشريات ملكية، لا أحلام شيطانية..

- يعرضها على إخوان الصدق من الواردين عليه معلمين متعلمين مفيدين مستفيدين ليعلم علمهم في شانها..

- يعتبر ويعتبرون معه انها بشريات تكليف لا تشريف، وامانة ومسؤولية لحمل العلم ونشره بحقه وعلى حقه بين الناس..

- يستعظم المسؤولية ويبكي خوف الا يوفيها حقها علما وعملا ونقلا.. ولا يغتر ولا يزهو.

- احترام المتعلم للعالم بالانصراف عنه في الوقت المناسب من غير أن يثقل عليه او يؤذيه بقول أو فعل ولو بنية حسنة..

هذا فيما يتعلق بالرؤى التي رؤيت له، واما عما رأى هو لنفسه، فقد جاء في نفس كتاب الحلية عن المثنى ابن سعيد القصير، قال: سمعت مالك بن أنس يقول: "ما بت ليلة الا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم" لعلكم تتساءلون معي أيها الاخوة الكرام" لماذا هذه البشرى المستمرة لهذا الإمام في حياته وقبلها.. وحتى بعدها؟

هذا ما سنعرفه من مواقفه رضي الله عنه، ومن جوانب حياته حين نستعرض مراحل هذه الحياة في ومضات منها فقط، مما لا تضيق به هذه العجالة.. ومن غير أن نطيل فنمل، أو نبالغ في الإيجاز فنخل:

نشأته رحمه الله تعالى:

- نشأ رحمه الله تبارك وتعالى فقيرا يعمل مع أخيه النضر، ويعرف به، فكان الناس ينعتونه: "مالك اخو النضر" .. وكانت تجارة هذا الأخ الذي غمره التاريخ وبقي معروفا ب"النضر اخي مالك" في البز.. وقد جمع مبلغا ادخره من عمله هذا مع أخيه.. فانصرف عن التجارة إلى العلم.. ومن هذا المبلغ الزهيد استمر يعيش مدة من الحياة الكريمة التي هياه الله لها بمرابحة مع بعض التجار وكان منها قوام عيشه.. أغناه الله بها عن العطايا والهبات والصلات..

- وقد بدأ رضي الله عنه طلبه للعلم في حالة من الفقر المدقع.. فقد أخبر عنه تلميذه ابن القاسم: "أفضى بمالك طلب العلم إلى أن نقض سقف بيته فباع خشبه...." وهو القائل رحمه الله تعالى: "لا يُنالُ هذا الأمرُ - يعني العلم - حتى يذاق فيه الفقر".

- ومن طرائف واقع هذه الحياة المباركة أن الإمام مالك رحمه الله تعالى، تأثرا منه في صباه بمحيطه وما كان شائعا فيه من ترف الحجازيين وميلهم إلى الغناء .. انه تاق إلى تعلمه.. فخشت عليه والدته من هذا الاتجاه، لما أراد الله من كرامته بتحقق معجزة نبوءة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في شانه، فخوفته من عاقبة انصرافه الى ذلك.. ولم تقبح له الأمر حتى لا تزيده به تشبثا وتعلقا.. بل بينت له أن هذا النوع من الفن لا يصلح له إلا من وُهبوا إلى جانب الموهبة الفنية جمالا في الصورة والخلق.. وإلا كانوا أضحوكة بين الناس.. وأخبرته أن الأصلح فيما تراه له هو العلم والفقه، فهو الأليق بخلقه وخلقه.. وفيه سيكون مستقبله شهرة وغنى.. وظلت به بحصافة الامر الحريصة على دنيا فلذة كبدها ودينه حتى اقتنعته برأيها وكان الخير الأوفق والأليق.. رحمها الله تعالى..

- وبعثت به في حداثة سنه وميعه إلى حلقة شيخه الأول ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ المعروف بربيعة الرأي، رحمه الله، الذي شهد له كبار علماء عصره كسوار بن عبد الله بقوله: "ما رأيت أحدا أعلم من ربيعة، قيل ولا الحسن البصري؟ قال: ولا الحسن ولا ابن سيرين" كما قال عنه القاسم بن محمد بن أبي بكر: "لو تمنيت أحدا تلده أمي لتمنيت ربيعة" وهكذا أحسنت الأم الصالحة الموفقة بتوجيه ابنها إلى العلم، وأحسنت بتوجيهه إلى المعلم.. وقد بعثت به صغيرا يراه الناس في حلقة ربيعة وفي اذنه شنف لا يكون إلا في أذن صبي صغير. (والشنف هو قرط يعلق في أعلى أذن الصبي ذكرا أو أنثى).. ومن تربية هذا المعلم العظيم لتلميذه الإمام مالك رحمه الله أنه قال له حين استدعي إلى دمشق للاستفادة من علمه فلبى سامعا مطيعا: "إن سمعت اني خدمتهم شيئا أو أفتيتم فلا تعدني شيئا" ورفض ولاية القضاء وجائزة أجيزها قيمتها بعملة ذلك الوقت خمسة آلاف دينار.. وليس معنى خدمتهم إلا عدم تولي الولايات لهم، وليس الإفتاء عدم النصح لهم بما يرضي الله ويصلح البلاد والعباد.. والا فلم يكن أصلا ليلبي دعوتهم، بل رفضها كما رفض ولاية القضاء وأخذ الجوائز..

- ومن أساتذته الذين أثروا فيه علما وعملا

محمد بن المنكدر سيد القراء العابد الزاهد، القائل عن نفسه: "كابدت نفسي في ذلك - اي الزهد والعبادة وطلب العلم والعمل به - أربعين سنة حتى استقامت".

وأثره في نفس الإمام مالك وسلوكه يتجلى في قوله: "كنت إذا وجدت في نفسي قسوة آتي بن المنكدر فانظر إليه نظرة فأبغض نفسي أياما".

- ومن أساتذته: نافع، خادم عبد الله بن عمر ثلاثين سنة ومولى سالم ابنه، تعلم منه لزوم السنة والمحافظة عليها في حرص عز نظيره وقلّ مثيله، في دقائق الأمور وجلائلها.. لزمه كظله يستخرج ما عنده، يترصد دخوله وخروجه ليسأله.. وأحبه نافع فكان يقعده معه ويحدثه.. ولما كف بصر نافع، أخذ مالك يلازمه اكثر، فيقوده إلى منزله بالبقيع ليزداد له قربا وبه التصاقا واليه تحببا، ليستفيد من وقت المشي في الطريق المزيد من العلم والقدوة به، ومن الانفراد بالمعلم في البيت المزيد من الألفة والسكن إليه، ورفع الكلفة معه ليزداد استفادة بما يتلقاه منه.

- ومن مواقفه في تعطشه منذ نشأته إلى طلب العلم انه كان يأخذ معه عند ذهابه إلى عبد الله، بن يزيد بن هرمز - الذي لزمه في صباه وكهولته حتى توفي هذا العالم المعلم الجليل - أقول كان يأخذ تمرات لصبيان بن هرمز ليقولوا لمن حضر يسأل عن الشيخ أنه مشغول.. ليظل خاليا به يتعلم لا يشغله عنه شاغل..

- وقد حضر مالك يوما إلى باب ابن هرمز، فلما سأل جاريته: "من بالباب؟" وأخبرته: إنه مالك بن أنس، سارع إلى القول مستبشرا: ادعيه فإنه عالمُ الناس.. نطق ابن هرمز بما هو مثبت في ضمير الغيب قبل مولده ومولد عالم الناس، مصدقا. وهو يدري أو لا يدري. بشرى خير الخلق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.. أتدرون أيها الأحبة ما كان يفعله إمامنا مالك ليدخل على شيخه بن هرمز؟ كان قبل أن يخرج من بيته في أول ساعات النهار المبكرة يلبس ثيابا محشوا ينقي به برد حجر يجلس عليه المدة الطويلة بباب شيخه، فما يفتح الباب اول ما يفتح إلا ليكون أول الداخلين على أستاذه، فيأمر هذا جاريته لتغلق الباب وترخي الستر فيخلو النجيّان: الأستاذ وتلميذه، ليكلم الأستاذ تلميذه في الدين والعلم والسّير والاستاذ يبكي حتى تخضل لحيته، يبدآن مناجاتهما العلمية في أول النهار لينهياها عند حلول الليل.. فيكون مالك أول الداخلين وآخر الخارجين.. آلا يكون طالبا هذا شأنه وهذا جهده عالم الناس ومعلمهم...؟ وهل تحققت بشريات رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الا بهذا الجد والاجتهاد؟ وهي حقا لا تتحقق للمتخاذلين الكسالى المتمنين على الله الأماني..

الإمام مالك عالم المدينة والناس وإمام الأئمة:

ماذا عساني أن أحدثكم عن هذا الجانب من حياة الإمام مالك ومواقفه في هذه المرحلة من عمره؟ إنه فيض لا يفيض.. ولكن لا بأس من أن ننهل من هذا المعين الثر الفياض العذب الزلال إن لم نقدر أن نعل.

× جلوسه للتدريس والتعليم والفتوى:

- لم يجلس للتدريس وما يليه إلا بعد تأكده من أهليته، يقول عن نفسه: "ما أفتيت حتى شهد سبعون أني أهل لذلك".

- قال خلف بن عمرو: سمعت مالك بن انس يقول: ما أجبت في الفتيا حتى سألت من هو أعلم مني هل يراني موضعا لذلك، سألت ربيعة، وسألت يحيى بن سعيد فأذنا لي بذلك.. وفي لفظ فأمرني بذلك.. فقلت له: يا أبا عبد الله فلو نهوك؟ قال: كنت انتهي، ولا ينبغي لرجل أن يرى نفسه أهلا لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه...

موقفه كعالم من الغناء الذي كان يريد الاشتغال به في صباه:

- روى صاحب الأغاني أن أحد مغني المدينة سمع لحنا أعجبه في مجلس من مجالس الغناء، فسأر في طريق خال وقت القائلة، فجعل يتغنى بالصوت، فإذا خوخة قد فتحت، وإذا وجه تثنيه لحية حمراء، فقال: يا فاسق، أسأت التأدية، ومنعت القائلة، وأذعت الفاحشة، ثم اندفع يغنيه، فظننت ان طويسا قد نشر بعينه، فقلت له: أصلحك الله من أين لك هذا الغناء؟ فحدثه مالك بقصة طليه الغناء وهو صغير، فقال له الراوي: فأعد جعلت فداك. قال: لا ولا كرامة، تريد أن تقول: أخذته عن مالك بن أنس؟

ومن العجب أن والدته رحمها الله أنذرته لتقيه الانصراف إلى تعاطي الغناء بالأثر السيء الذي يخلفه قبح الصورة في أهل هذا الفن، ومع ذلك فقد وصفه كل من عايشه بالطول والجسامة وجودة البدن، وشدة البياض والشقرة وزرقة العين واتساعها وحسن الصورة كما عرف بالأناقة، والتطيب، وارتداء الثياب العدنية الرقيقة، والمدنية أو الخراسانية أو المصرية المترفعة البيضاء.. وكان نقي الثوب.. وكان يقول: "ما أحد أنعم الله عليه إلا أحب أن يرى أثر نعمته عليه، وخصوصا اهل العلم، ينبغي لهم أن يظهروا مروءاتهم في ثيابهم إجلالا للعلم". ويقول: "التواضع في التقى لا في اللباس، انا كنا نتواضع في التقى والدين لا في اللباس"

- مواقفه في مجالس العلم:

- يحتفل بها ولها ويستعد ويتهيأ ويغتسل ويتطيب ويجلس متلقيا أو ملقيا، عالما أو متعلما: "حدث ابراهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري قاضي المدينة: "مَرَّ مالك بن انس على ابن حازم وهو يحدث فجازه، فقيل له في ذلك، فقال: اني لم أجد موضعا أجلس فيه فكرهت أن آخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأنا قائم، وكان يقول: أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنا.

- كان يكره ان يحدث في الطريق وهو قائم، أو يستعجل، فقال: أحب أن اتفهم ما أحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

- من مواقفه الجليلة في مجالس العلم ما تصفه به هذان البيتان:

يدع الجواب فلا يراجع هيبة xxxxxxx والسائلون نواكس الأذقان

ادب الوقار وعز سلطان التقىxxxxxx فهو المطاع وليس ذا سلطان

- أخلاق العلماء كما كان يراها ويطبقها:

كان يرى أن العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية.

- وكان يؤكد أن الداء العضال الذي يصيب العلماء هو الخبث في الدين.. وانهم فيما بلغه يسألون يوم القيامة عما يسأل عنه الأنبياء..

- وقد سئل عن طلب العلم فقال: حسن، اذا نظر الطالب الذي يلزمه فيه من حين يصبح الى أن يمسي ليلزمه ويتمسك به.

- وكان يخاطب من يجلس إليه ليتلقى عنه: ما كنت لاعبا فلا تلعبن بدينك.

- وقد أكد غير ما مرة: حق على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية، والعلم حسن لمن رزق خيره، وهو قسم من الله فلا تمكن الناس من نفسك، فإن من سعادة المرء أن يوفق للخير، وإن من شقاوة المرء أن لا يزال يخطئ، وذل وإهانة للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه.

- لا يهمه فيه الثناء والمدح، كما لا يهمه القدح والذم، وقد سأل يوما أحد تلاميذه: "ما يقول الناس فيّ، فاجابه: أما الصديق فيثني وأما العدو فيقع. قال: مازال الناس كذا، لهم صديق وعدو، ولكن نعوذ بالله من تتابع الألسنة كلها" وهذا من فقهه وفهمه رضي الله عنه، فتتابع الألسنة بالمدح يغر، وتتابعها بالقدح يمر.

- وكان يكرر كل حين: لا يؤخذ العلم إلا عمن يعرف ما يقول.

- وقد حدث عنه بالرواية الثابتة الصحيحة الأكيدة أنه كان إذا لم يدر قال بمل، فيه لا أدري، وقد قال عنه تلميذه وصاحبه ابن وهب: لو شئت أن أملأ الواحي من قول مالك ابن انس: لا أدري فعلت، وقد توالت زيارات رجل له يسأله عن شيء أياما فما يجيبه، وكان الرجل قد رحل إليه من قطر نأى، فقال له يوما: يا أبا عبد الله إني أريد الخروج، قال: فأطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال: ما شاء الله يا هذا! إني إنما أتكلم فيما أحتسب فيه الخير، وليس أحسن مسألتك هذه...

وكان قاسيا صارما مع ذوي الأهواء والشبهات والمتطفلين، فقد سأله أحدهم عن الاستواء، فاجابه بجزم وعزم وحزم: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والايمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.. وما أراك إلا صاحب بدعة فانصرف عنا..

هذا أيها المؤمنون ما اتسعت له فسحة الزمن المحدودة وأطاقته قدرة أخيكم القاصرة عن مواقف الإمام مالك وجوانب من حياته.. اعددتها لكم احتسب فيها الخير.. وقد أوردت منها ما أظن ظنا وما أنا بمستيقن اني فهمته وأني استطيع أن أحسن الكلام به.. فإن وفقت فمن الله تعالى وبه.. وإن أخفقت فمن جهلي وتقصيري واغتراري بالغرور قبل نفسي.. ورجائي إليكم أن تقيلوا العثرة بحسن التوجيه، وبالنقد البناء الذي يرشد ويسدد، ويشجع ويدفع إلى الأمام بيد حانية رحيمة، وبإشارة حفيفة لطيفة .. والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الوثاق

رسالة إمام أهل المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد

ضمن هذا الركن نقدم للقراء نص الرسالة التي بعث بها عالم المدينة إمامنا مالك رضي الله عنه الى الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي طلب منه الارشاد والنصح والذي احتفى بهذه الرسالة حيث كتبها بماء الذهب وهي كما سيرى القراء تستند على الكتاب والسنة ونظرا لطولها نقتصر على حلقتين منها على ان نعود لها فيما بعد إن شاء الله.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين، أما بعد فإني كتبت إليك بكتاب لم آلك فيه رشدا، ولم أدخرك فيه نصحا، تحميدا لله، وأدبا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتدبره بعقلك، وردد فيه بصرك، وارعه سمعك، ثم أعقله بقلبك، وأحضره فهمك، ولا تغبن عنه ذهنك، فإن فيه الفضل في الدنيا وحسن ثواب الله تعالى في الآخرة.

الأستاذ : إدريس كرم

■ اذكر نفسك في غمرات الموت وكربه، وما هو نازل بك منه وما أنت موقوف عليه بعد الموت، من العرض على الله سبحانه ثم الخلود ثم الحساب بعد الحساب واعد له عز وجل ما يسهل به عليك أهوال تلك المشاهد وكربها، فإنك لو رأيت أهل سخط الله تعالى وما صاروا إليه من ألوان العذاب وشدة نقمته عليهم، وسمعت زفيرهم في النار وشهيقهم مع كلوح وجوههم وطول غمهم وتقلبهم في دركاتها على وجوههم لا يسمعون ولا يبصرون ويدعون بالويل والثبور، وأعظم من ذلك حسرة، وإعراض الله تعالى عنهم وانقطاع رجائهم وإجابته إياهم بعد طول الغم بقوله: "اخسأوا فيها ولا تكلمون" لم يتعاظمك شيء من الدنيا ان أردت النجاة من ذلك..

❖❖❖

ولا آمنك من هوله ولو قدمت في طلب النجاة منه جميع ما ملك أهل الدنيا كان في معاينتك ذلك صغيرا، ولو رأيت أهل طاعة الله تعالى وما وصلوا إليه من كرم الله عز وجل ومنزلتهم مع قربهم من الله عز وجل ونظرة وجوههم ونور ألوانهم وسرورهم بالنعيم المقيم والنظر إليه والمكانة منه لتقلل في عينك عظيم ما طلبت به صغير ذلك من الدنيا فاحذر على نفسك حذرا غير تغرير، وبادر بنفسك قبل أن تسيق إليها وما تخاف الحسرة منه عند نزول الموت وخاصم نفسك على مهل وأنت تقدر بإذن الله جر المنفعة إليها وصرف الحجة عنها أن يتولى الله حسابها ثم تقدر على صرف المكروه عنها، واجعل من نفسك لنفسك نصيبا بالليل والنهار، وصل من النهار اثنتي عشرة ركعة واقرأ فيهن ما أحببت إن شئت صليتهن جميعا وإن شئت متفرقات فإنه بلغني عن النبي صلع أنه قال: من صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتا في الجنة وصل في الليل ثمان ركعات بجزء من القرآن واعط كل ركعة حقها والذي ينبغي فيها من تمام الركوع والسجود وصلهن مثنى مثنى فإنه بلغني عن النبي صلع أنه كان يصلي من الليل ثمان ركعات والوتر ثلاث ركعات سوى ذلك يسلم بين كل اثنتين، وصم ثلاثة أيام من كل شهر، الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فإنه بلغني عن النبي صلع أنه قال ذلك صيام الدهر، واعط زكاة مالك طيبة بها نفسك حين يحول عليه الحول ولا تؤخرها بعد حلها، وضعها فيمن أمر الله تعالى ولا تشعها إلا في أهل ملتك من المسلمين فإنه بلغني عن النبي صله أنه قال ان الله تعالى لم يرض من الصدقة بحكم نبي ولا غيره حتى حدها هو على ثمانية أجزاء قال عز وجل: " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل، واحجج حجة الاسلام من أطيب مالك وازكاه عندك، فإن الله تعالى لا يقبل إلا طيبا، وبلغني ان قوله تعالى فيمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه غفر له.

❖❖❖

مر بطاعة الله واحبب عليها، وانه عن معاصي الله تعالى فإنه بلغني عن النبي(ﷺ) أنه قال مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فإنما هلك من كان قبلكم بتركهم نهيهم عن المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر من قبل أن ينزل بكم الذي نزل بهم فإن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقدم أجلا ولا يقطع رزقا.

❖❖❖

أحسن إلى من خوّلك الله تعالى واشكر تفضيله إياك فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أنه كان يصلي فانصرف وقال أطت السماء وحق لها أن تئط ما عليها موضع إلا عليه جبهة ملك ساجد. فمن كان له خول فليحسن إليه، ومن كره فاليستبدل، ولا تعذبوا خلق الله، الزم الأدب من وليت أمره وأدبه، وممن يجب عليك النظر في أمره فإنه بلغني عن النبي صلع أنه قال للفضل بن عباس لا ترفع عصاك عن أهلك وأخفهم في الله لا تستسلم إلى الناس واستحريهم طاعة الله .

❖❖❖

لا تغمط الناس، واخفظ لهم جناحك فإنه بلغني عن النبي صلع أنه قال الا أحدثكم بوصية نوح ابنه قال آمرك باثنين وأنهاك عن اثنين آمرك بقول لا إله إلا الله فإنها لو كانت في كفة والسماوات والأرض في كفة وزنتها، ولو وضعتها على حلقة قسمتها، وقل سبحان الله وبحمده فإنها عبادة الخلق وبها يقطع ارزاقهم فانهما يكثران لمن قالهما الولوج على الله عز وجل، وانه عن الشرك والكبر فإن الله محتجب عنهما فقال له بعض أصحابه آمن الكبر أن يكون لي الداية النجيبة قال لا قال آمن الكبر أن يكون لي الثوب الحسن قال لا قال أفمن الكبر ان يكون لي الطعام اجمع عليه الناس قال لا انما الكبر ان تسفه الحق وتغمط الخلق، وإياك والكبر والزهو فإن الله عز وجل لا يحبهما.

❖❖❖

وبلغني عن بعض العلماء أنه قال: يحشر المتكبر يوم القيامة في صور الذي تطأهم الناس بتكبرهم على الله عز وجل.

لا تؤمن على شيء من أمرك ممن لا يخافون الله، واحذر بطانة السوء، وأهل الردى على نفسك، فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال ما من نبي ولا خليفة إلا له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تألوه خبالا، وهو مع التي استولت عليه، ومن وقى بطانة السوء فقد وقى واستبطن أهل التقوى من الناس.

❖❖❖

واكرم ضيفك فإنه يحق عليك إكرامه، وارع حق جارك ببذل المعروف وكف الاذى عنه فإنه بلغني عن النبي (ﷺ)أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ويتكلم بخير او يسكت فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليسكت، واتق فضول المنطق فإنه بلغني عن ابن مسعود أنه قال انذركم فضول المنطق، واكرم من وَادَّكَ وكافيه بمودتك، وإياك والغضب في غير الله، ولا تأمر بخير الا بدأت بفعله، ولا تنه عن سوء الا بدأت بتركه، دع من الامر ما لا يعنيك، فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه، صل من قطعك، واعف عمن ظلمك واعط من حرمك، فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال انها افضل اخلاق الدنيا والاخرة، واتق كثرة الضحك فإنه يدعو الى السفه، فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) ان ضحكه كان تبسما ، لاتمزح فتذم نفسك، فإنه بلغني عن النبي صلع أنه قال وهل يكب الناس في نار جهنم الا هذا يعني لسانه، لا تصاعر خدك للناس فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال ان اهل الجنة كل هين لين سهل طلق، اترك من اعمال السر ما لا يحسن بك ان تعمله في العلانية، اتق كل شيء تخاف فيه تهمة في دينك ودنياك، أقل طلب الحوائج من الناس فإن في ذلك غضاضة وبلغني عن النبي صلع أنه قال لرجل لا تسأل الناس وليكن مجلسك بيتك أو مسجدك فإنه بلغني عن النبي (ﷺ) أنه قال المساجد بيوت المتقين لا تكثر الشخوص من بيتك الا في امر لابد منه فإنه بلغني عن لنبي صلع قال ستة مجالس المسلم ضامن على الله: ما كان في شيء منهن في سبيل الله أو في بيت الله، أو في عيادة مريض، أو شهود جنازة أو جمعة أو عند امام مقسط يعزره ويوقره.

❖❖❖

أحسن خلقك مع أهلك ومن اعتز بك، فإن في ذلك رضا لربك، ومحبة في أهلك، ومثراة في مالك ومنسأة في أجلك فإنه بلغني عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال ذلك أحسن البشرى إلى عامة الناس، واتق شتمهم، وغيبتهم، فإن الله تعالى قال: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا . وبلغني عن النبي صلع أنه قال لا تشتم الناس، اتق الفحش ومجالسة أهل الردى ومحادثة الضعف من الناس فإنه بلغني عن ابن مسعود أنه قال اعتبر الناس بأخدانهم فإنما يخادن الرجل الرجل مثله، أكرم اليتيم وارحمه واعطف عليه فإنه بلغني عن النبي صلع أنه قال من كفل يتيما له أو لغيره كنت أنا وهو في الجنة كهاتين أشار بأصبعيه فضمهما، اعرف لابن السبيل حقه واحفظ وصية الله تعالى فيه فإنه بلغني ان أول من ضاف الضيف ابراهيم الخليل عليه السلام، أعز المظلوم وانصره ما استطعت وخذ على يد الظالم وادفعه عن ظلمه فإنه بلغني عن النبي صلع أنه قال من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام.

يتبع

الحديث الواحد والعشرون: إمام دار الهجرة

نص الحديث:

عن أبي هريرة رواية:"يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة". أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن.

راوي الحديث:

أبو هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم الكلام عنه فيما سبق.

تخريج الحديث:

هذا الحديث أخرجه الترمذي في كتاب العلم عن رسو ل الله . باب ما جاء في عالم المدينة . رقم: 2604، قال: حدثنا الحسن بن الصباح البزار وإسحاق بن موسى الأنصاري قال حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه، وذكر الحديث، وقال: هذا حديث حسن وهو حديث ابن عيينة وقد روي عن ابن عيينة انه قال في هذا سئل من عالم المدينة فقال إنه مالك بن أنس وقال إسحاق بن موسى سمعت ابن عيينة يقول هو العمري الزاهد واسمه عبد العزيز بن عبد الله وسمعت يحيى بن موسى يقول قال عبد الرزاق هو مالك بن أنس والعمري هو عبد العزيز بن عبد الله من ولد عمر بن الخطاب.

وأخرجه أحمد في كتاب باقي مسند المكثرين- باب مسند أبي هريرة . رقم: .7639

وذكره ابن حبان في صحيحه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص):"يوشك أن يضرب الرجل أكباد الإبل في طلب العلم، فلا يجد عالما أعلم من عالم المدينة".

أهمية الحديث:

هذا حديث من نبوءاته صلى الله عليه وسلم، وقد جاء عن غير من واحد من السلف الصالح، أنه في الإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، رضي الله عنه.

مفردات الحديث

"يوشك":أي يقرب.

"أن يضرب الناس":قال الطيبي: ضرب أكباد الإبل كناية عن السير السريع.

"أكباد الإبل":أي المحاذي لأكبادها يعني يرحلون ويسافرون في طلب العلم وهو كناية عن إسراع الإبل وإجهادها في السير.

المعنى العام

1. منزلة العلماء:

العلماء ورثة الأنبياء، وحاملوا مشعل الهداية، ومرشدو الأمة إل صراط العزيز الحميد، ومن خلال هذا الحديث وغيره من أحاديث الحبيب المصطفى وهي كثيرة في هذا الباب، إلى جانب الآيات البينات من كتاب الله العزيز الحكيم، يتبين لنا مدى اهتمام الإسلام بالعلم والعلماء، والدرجة الرفيعة التي قد يصلها العالم بعلمه في الدنيا، ويكفيه فخرا واعتزازا أن الله قد استأمنه على إرث النبوة.

كما أن العاقل منا من تبين الخطورة من جهة أخرى، حيث أن الناس تبع لعلمائهم، وإن زلة العالم ليست كزلة العامة من الناس، ولذلك وجب علينا أن نستشف من هذا الحديث العظيم، أن المسؤولية جسيمة تلك الملقاة على عاتق العالم.

وإن الله أحب من عباده العلماء واصطفاهم واجتباهم ورثة للأنبياء وزادهم من الخير والبر حتى صاروا من عباده الأتقياء السعداء، وأثنى عليهم في كتابه فشرفهم وكرمهم فقال وهو أصدق القائلين:(إنما يخشى الله من عباده العلماء)سورة فاطر الآية:28) أئمة الهدى ومصابيح الدجى بهم بعد الله يهتدى وبنهجهم يحتذى ويقتدى فكم من طالب علم علموه؟! وتائه عن سبيل الرشد وحائر عن صراط الله دلوه.

العلماء الذين جعل الله بقاءهم للعباد رحمة وعلمهم في القلوب نورا وبركة وامتن سبحانه على نبيه محمد (ص) بالعلم وشرفه وكرمه به فكان إمامهم وقدوتهم وهاديهم . صلوات الله وسلامه عليه ..

2. طلب العلم والعمل به:

العلم فضل عظيم وصدق الله إذ يقول:(وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)سورة النساء/الآية:.113

قال بعض العلماء: كان فضل الله عليك عظيما حينما علمك ما لم تكن تعلم حينما انقذك من الضلال وهداك إلى الحق:(ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) سورة الشورى/الآية:49، فالله علمه ودله وهداه . جل سبحانه في علاه .

العلم بصيرة قال . تعالى .:(قل

■ إعداد الاستاذ: عبد الله بوغوتة

هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة) سورة يوسف/الآية:108 قال العلماء: لأن العالم يبصر الحق فيتبعه، ويبصر الباطل فيتقيه ويجتنبه، العلم بينة تنكشف بها الحقائق ويخرس عند دلائلها كل متكلم وناطق قال . تعالى .:(قل إني على بينة من ربي) سورة الأنعام/الآية:57

العلم نور ورحمة نور في القلوب ونور لأهله في القبور يذهب الله به عن أهله ظلمة القبور وفزع الهول والنشور فأصحابه يخوضون في رحمات الله حتى ينتهي بهم إلى الجنة.

العلم ... وما أدراك ما العلم؟!! الذي شرف الله به من شاء واصطفى من عباده فشهد أنه أراد بأهله الخير فقال سبحانه(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا)سورة البقرة/الآية:.269

وكثير من الله ليست بالهينة فمن تعلم انكسر قلبه لربه ومن تعلم عرف الله بأسمائه وصفاته ومن تعلم عرف حدوده فاتقاها ومحارمه فاجتباها ومراضي الله . جل وعلا . فطلبها .

وإن العلم لايتحقق إلا بالعمل، فالعلم بلا عمل، كالجسد بلا روح، وإن أخطر مصير، هو مصير عالم منافق، يعلم ولايعمل، يعلم المعروف ولايأتيه، ويعلم المنكر ويأتيه، وإن خير الناس من تعلم ماتحته عمل، فكان من العالمين العاملين، الله اجعلنا منهم.

3. إنباء النبي (ﷺ) بالغيب:

هذا الحديث من نبوءات النبي (ص)، ولقد وقع الأمر كما تنبأ به الصادق المصدوق(ص)، حيث توافد الناس على المدينة المنورة بعد وفاته(ص)، ليسمعوا الأحاديث ويتفقهوا في الدين على أيدي علماء المدينة ولا سيما في عده الإمام مالك رضوان الله عليه، الذي كان وحيد دهره، وفريد عصره في علم الحديث، وفي عهده ضرب الناس أكباد الإبل من جميع أقطار العالم الإسلامي نحو المدينة المنورة ليحضروها، ويسمعوا من عالمها، ويتفقوا على أيدي إمامها.

4. عالم المدينة:

أكد غير واحد من السلف الصالح، أن "عالم المدينة" المقصود في هذا الحديث، هو الإمام النجم، مالك بن أنس رضي الله عنه.

قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: كان عالم المدينة في زمانه بعد رسول الله (ﷺ)، وصاحبيه زيد بن ثابت وعائشة، ثم ابن عمر ثم سعيد بن المسيب ثم الزهري ثم عبيد الله بن عمر ثم مالك. (سير أعلام النبلاء55/8).

❖هو إمام الائمة الإمام المشهور، صدر الصدور، وأكمل العقلاء، وأعقل الفضلاء، ورث حديث رسول الله (ﷺ)، ونشر في أمته الأحكام والفصول، هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث، وذكر القاضي أبو بكر بن العلاء القشيري، أن أبا عامر جد أبي مالك من أصحاب رسول الله(ﷺ)، وأنه شهد المغازي كلها مع رسول الله (ﷺ) خلا بدرا، وابنه مالك جد مالك من كبار التابعين وعلمائهم، وهو أحد الأربعة الذين حملوا عثمان إلى قبره.

❖ولد رحمة الله عليه، سنة ثلاث وتسعين من الهجرة على أرجح وأصح الأقوال. وتعلم صغيرا فأخذ عن تسعمائة فأكثر، وما أفتى حتى شهد له سبعون إماما أنه أهل لذلك، وكتب بيده مائة ألف حديث، وجلس للدرس وهو ابن سبعة عشر عاما صارت حلقته أكبر من حلقات مشايخه في حياتهم، وكان الناس يزدحمون على بابه لأخذ الحديث والفقه، كازدحامهم على باب السلطان، وكان إذا أراد الجلوس للحديث اغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا وتعمم وقعد على منصته بخشوع وخضوع ووقار.

وبقي يزداد إيمانا، ويرتقي درجات العلم والخشية، حتى لقي ربه، والأمة تشهد له بالصلاح، وتثني عليه خيرا، نسأله تعالى، أن يجعله مع نبينا المصطفى، وأن يجازيه عنا وعن الإسلام خير الجزاء.

5. مكانة مالك عند علماء الإسلام:

ثناء الأئمة والأمة عليه كثير من أن يحصر، قال الشافعي رحمه الله :"إذا جاء الأثر فمالك النجم، وقال: مالك وابن عيينة القرينان، لولاهما لذهب علم الحجاز. وأخرج عن نعيم بن حماد قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: مابقي على وجه الأرض احد آمن على حديث رسول الله ٠ص) من مالك بن أنس.

وأخرج الغافقي عن علي بن المديني قال: قال سفيان بن عيينة: رحم الله مالكا، ما كان أشد انتقاد مالك للرجال.

وأخرج الغافقي كذلك عن يحيى بن معين قال: قال سفيان بن عيينة: من نحن عند مالك، إنما كنا نتبع آثار مالك وننظر الشيخ إن كان مالك كتب عنه وإلا تركناه.

وأخرج عن الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: إذا جاءك الحديث عن مالك فشد يدك به.

وأخرج ابن عبد البر في التمهيد عن ابن وهب قال لولا مالك والكتب لضللنا.

وقال ابن معين: كان مالك من حجج الله على خلقه.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: رحمة الله على مالك، القلب يسكن إلى حديثه وإلى فتياه حقيق أن يسكن إليه، مالك حجة عندنا، لأنه شديد الاتباع للآثار التي تصح عنده.

ومناقبه رحمة الله عليه كثير يضيق المجال لبسطها، وذكرها جميعا بل جزاء منها ويكفينا في هذا المقام، أن يجمعنا به في جنته آمين.

أفكار الحديث:

1. منزلة العلماء في الإسلام.
2. طلب العلم والعمل به.
3. إنباء النبي صلى الله عليه وسلم بالغيب.

زعيم المذهب: مالك بن أنس

إعداد الاستاذ: الصغير بن عبد السلام الوكيلي في : كتاب الامام الشهاب القرافي

لن اتحدث هنا عن ومالك زعيم مدرسة الحديث كما قيل ويقال، مما هو معروف مشهور مفروغ منه. ولكن سأمح إلى لمحات قليلة عن أثر العقل في مذهب الإمام. سأتحدث عن مالك الفقيه صاحب الراي المحتكم إلى العقل ومن أين جاءه هذا الامتياز، وأسارع إلى النتيجة من الآن فأقول: إني أرى ان تأثير العقل جاء من جهتين:

الجهة الأولى: من تربيته طفلا وتلميذا.

والجهة الثانية: اهتباله بالفقه بقدر اهتباله بالحديث وهي نتيجة للأولى.

أما الجهة الأولى التعليمية فإن ما هو مجمع عليه أنه تلميذ ربيعة ابن أبي عبد الرحمان، فقد اشتهر مالك بذلك، واشتهر ربيعة بأنه شيخ مالك في ذلك، واتجاه ربيعة كان اتجاها عقليا واتجاه راي، ولم يكن اتجاه نقل وحديث وحده، وهذا لايعني أن هنالك حدا فاصلا بين الراي والحديث عند ربيعة، وكيف يفهم ذلك وهو ثاني اثنين كانت تدور عليهما الفتوى في المدينة في عهده، كان اتجاهه هو التذوق الفقهي وإعمال الراي أكثر من غيره، وتلك كانت طبيعته حتى وهو يتلقى العلم طالبا كما هو مشهور عنه، لكثرة جدله ومناظرته، روى ابن خلفون في كتابه شيوخ مالك قال: (كان ربيعة ابن أبي عبد الرحمان يجلس إلى القاسم بن محمد، فكان من لا يعرفه، يظن أنه صاحب المجلس، يغلب على المجلس بالكلام). وروى ابن خلفون، أن أم مالك، كانت تلبسه الثياب وتعممه وهوصبي، وتوجهه إلى ربيعة ابن أبي عبد الرحمان، وتقول له، تعلم من سمته وأدبه، قبل أن تتعلم من حديثه وفقهه، أي اقتد به وتأثر به، وليكن قدوتك فيما تأتي وماتذر. هذه وصية الأم للطفل. وروى ابن خلفون فيما نقله عن أبي جعفرمحمد بن الحسين البغدادي، أن ربيعة كان أقوى من الزهري في الذوق والغالب عليه الفقه.

والمقصود بالذوق كما هو واضح هو دراية الفقه وفهمه واستخراج معانيه فربيعة المتذوق للفقه، والبالغ فيه القدح المعلى حتى فاق الزهري في تذوقه للفقه والمتعقلن فيه، بل بلغ من اتجاهه للراي والعقل درجة سمي معها ربيعة الرأي.

ربيعة هذا هو الذي كان الصبي مالك يتردد عليه بعد أن تهيئه أمه لباسا وعمامة وتأمره بملازمته والاقتداء به، وملابسته فيما يأخذ ومايذر، فإذا أضيف إلى هذه الوصية، طبيعة الصبا وهي أن الصبي بطبيعة سنه يتأثر بمعلمه، وبطريقته، واتجاهه، لاشك في ذلك وإذن لاحرج أن نقول هنالك أثر من آثار ربيعة في مالك في اتجاهه إلى الاحتكام إلى العقل، وقد ظهر أثر ذلك في مالك الإمام، فرغم أن الرواة نقلوا أن مالكا، اعتزل ربيعة بأخرة، لما طغى عليه من اتجاه الراي، فإنه قول لاينافي تأثره به صبيا وشابا، فإن هذا التأثر ظهر حتى خلفه مالك من آثار فقد روى عن مالك تقديم القياس على خبر الواحد، كما وقعت الإشارة إليه في غير هذا المكان، وهذا من التأثر العقلي وتلك هي الجهة الثالثة فيما يرجع إلى اهتباله بالفقه.

ونص إمام الحرمين في البرهان على أن مالكا رضي الله عنه ذهب إلى تقديم أقضية الصحابة رضي الله عنهم على الخبر الصحيح، والنص الصريح.

وهذا قاده إلى الأخذ بالمصالح، اعتمادا على أن استقراء أقضية الصحابة وفتاواهم، ثبت منها أنهم كانوا يسترسلون استرسالا في فتاواهم اعتمادا على المعاني ومجرد المناسبة، حتى قيل فيه إنه ذهب إلى مجرد العقل قبل الإحاطة، وفي هذا يقول إمام الحرمين في مكان آخر من البرهان، (فإنه أي مالك، قد اتخذ من أقضية الصحابة رضي الله عنهم أصولا، وشبه بها مأخذ الواقع، فمال فيما قال إلى أقضيتهم وفتاواهم، فهو لم ير الاسترسال في المصالح، ولكنه لم يحط بتلك الوقائع على حقيقتها). وهذا النص الذي أوردناه عن إمام الحرمين، يبين كيف أن الإمام مالكا كان اتجاهه عقليا إلى حد كبير فيما كان يأخذ به من أصول اشتهر بها، وقد نص أتباعه على ما يفيد ذلك وافتخروا به، قال ابن القصار في عيون الأدلة (مذهب مالك وجوب النظر لأنه قد استدل في المسائل باستدلالات واحتج بقياسات... ومن مذهبه كما نقل ابن القصار أيضا إبطال التقليد من العالم للعالم) وهذه كلها للعقل واستخدامه فيها مجال اي مجال. لهذا الاتجاه العقلي ذهب إلى عدم الأخذ ببعض الأحاديث رغم روايته لها لمجرد الراي كما يقول خصومه بل وحتى أتباعه، مثل تركه حديث إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعا أحداها بالتراب او أولاها بالتراب، حيث قال (ورد الحديث ولا ادري معناه، يؤكل صيده، فكيف يكره لعابه)، وهذا تفسير في اتجاه عقلي صرف. صحيح أن له أصولا يسير عليها في ذلك كما هو معروف ولكن غرضنا هو إثبات أنه حتى أصوله كان اتجاهها عقليا ولكن في حدود مقاصد الشرع ومعانيه ومناسباته كما لايخفى. وليس لمجرد الهوى، فإن اتفاق العلماء حاصل، كما قال إمام الحرمين، بأنه لايجوز التعلق بكل مصلحة، ومن ظن ذلك بمالك رضي الله عنه فقد أخطأ، ثم إن ترك مالك الحديث لمعان ظهرت عنده أمر معروف عنه مشهور، وقد شنع عليه وعلى غيره ابن حزم ذلك في أحكامه. وتابع مالكا في ذلك أتباعه حتى قال ابن الباقلاني القاضي أبو بكر، كما نقل إمام الحرمين في البرهان إذا تعارض خبران وتعضد أحدهما بالقياس تساقطا وعمل بالقياس، وهو مذهب لم يرتضه إمام الحرمين منه، وأكاد أقول أن ماذهب إليه إمام الحرمين من الأخذ بالمصالح على غير مااشتهر من آراء مذهبه هو تأثره بالباقلاني لكثرة التصاقه بعلمه والتلمذة على كتبه كما لايخفى.

ولايهولنك في هذا ما هو معروف من انقسام المدارس الفقهية إلى مدرسة أثر، وعلى رأسها مالك، ومدرسة راي وعلى رأسها أبو حنيفة، فهو تقسيم ليس على إطلاقه حتى عند الذين ذهبوا إليه، وهو غير مسلم لهم من غيرهم كما أصبح معروفا الآن، ومع ذلك فإننا نؤمن بأن الإمام مالكا رحمه الله صاحب حديث، بل إذا ذكر الحديث فمالك النجم كما قال تلميذه الشافعي. ولكن هذا لاينفي عنه أنه كان له اتجاه عقلي في تفسير النصوص اكتسبه من أستاذه الذي غرس ذلك فيه في صباه، وظهر عنده في كبره في آرائه وأصوله، وفتاواه، ونؤكد من جديد بأننا نريد بهذا التنبيه أن نستلفت الأنظار إلى جانب خفي من جوانب عبقرية الإمام، وهو اهتباله بالعقل، وأن للعقل مجال وأي مجال، في فقهه، وفي مناظراته، ومناظراته لمحمد بن الحسن وأبي يوسف يعقوب صاحبي أبي حنيفة معروفة مشهورة، فقد نقل منها عياض في مداركه مايصح أن يكون مثالا من الأمثلة في ذلك.

ولعل اهتبال مالك بالفقه وتذوقه التذوق الذي جعله يصل إلى معانيه ومناسباته فيسير على هديها في تأصيل أصول له، وإثبات ذلك في موطإه، بصفة ملفتة للنظر، هو الذي جعل بعض الناس يقول تلك القولة السقيمة في الموطأ بأنه كتاب فقه وليس كتاب حديث وهم تابعون في ذلك ومقلدون لبعض القدامى منهم ابن قتيبة في كتاب المعارف حيث عد مالكا من فقهاء الراي ولم يعده من فقهاء الحديث، ونقل عن أبي المعين أن مالكا لم يكن صاحب حديث، وإنما كان صاحب رأي. وما ذلك إلا لاغتراره بكثرة ما ثبت عن مالك في فتاواه من اهتبال بالعقل. وعلى أي فالشاهد عندنا من هذه القولة، ليس هو القول بها، ولكن دلالتها على اهتبال مالك بالفقه، حتى اغتر به من اغتر. ولذلك نجد من فقه مالك في الموطأ، وماروى عنه في المدونة وماتبينه أصحابه من أصول مذهبه كما نص عليها. أو ماخرجوه على أصوله أو على منهجه في التخريج والاستنباط من الموطأ والمدونة، وتعامله مع أقضية الصحابة والتابعين الكثير من العقل واستعماله وتفصيل ذلك يجيء في الفصل التالي.

طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الإمام الشهاب القرافي

حلقة وصل بين المشرق والمغرب في مذهب مالك في القرن السابع

إعداد
الأستاذ الصغير بن عبد السلام الوكيلي

الجزء الثاني

1417هـ - 1996م

الانتصار لمذهب مالك

■ بقلم الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية ❖

تتقاسم العالم الإسلامي مذاهب فقهية متعددة أقواها المالكية والحنفية والشافعية والحنبلية والداودية والشيعة، وتعدد هذه المذاهب يثير تلقائيا مسألة الترجيح فيما بينها والتفضيل من أجل معرفة المذهب الذي يصلح أن يعتنقه الفرد المسلم في جزئياته وكلياته. إلا أن الأوضاع المتقلبة التي يعيشها الإنسان والتي تتفاوت ضيقا وسعة وما يطرأ على استعداده هو شخصيا من نشاط أو فتور بحسب الظروف التي يعيشها وبحسب البيئة التي تؤثر في خلقه وبحسب التطور الحاصل في مستوى المعيشة وأحوالها العامة كل ذلك جعل الفرد المسلم لا يقتصر على التفكير في المذهب الراجح ليعتنقه ويلتزمه بل أخذ يفكر في تتبع رخص تلك المذاهب جميعا والانتقال من أحدها إلى الآخر بحسب ما يتجه له كل منها من فرض التوسعة ورفع الحرج.

فهو يريد الأخذ بهذه المذاهب جميعا لا على أساس توحيد الفقه، بل على أساس إغناء المذاهب جميعا وإحالتها والاستفادة منها جميعها. وهذا الاتجاه لا سيما وأن قبوله أو رفضه ستكون له آثار بالغة الأهمية على الحياة تسلك هذا المسلك في تشريعاتها وتختار للمجتمع ما يتلاءم مع الظروف الجديدة وما يتناسب مع التطور الحضاري الحديث وما فيه توسعة على الأمة وذلك من أي مذهب فقهي كان بل إنها لتأخذ في بعض الأحيان بالقول الشاذ في الفقه وتطرح المذاهب بأجمعها. ونحن لا بد أن نحدد موقفنا من هذا الاتجاه لا سيما وأن قبوله أو رفضه ستكون له آثار بالغة الأهمية على الحياة العامة للمجتمع المسلم، وانعكاسات قوية على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والدينية، ويكفي التذكير بموقف مدونة الأحوال الشخصية المغربية -مثلا- في قضية الطلاق في كلمة واحدة وانه لا يقع إلا واحداً ، وقضية الطلاق المعلق، وانه لا يقع، وقضية الحلف باليمين أو الحرام، وأنه لا يقع به الطلاق.

وقضية المرأة يصح تقلدها لمنصب القضاء أم لا وقضية الزكاة ممن تؤخذ ولمن تصرف وما إلى ذلك من القضايا التي تمس مسا مباشرا مصالح الأفراد والجماعة والدولة.

ونحن ننتصر للمذهب المالكي ينبغي أن ندخل في حسابنا كل هذه الاعتبارات حتى لا ننادي بالمذهب المالكي كشعار سياسي لنخالفه في الواقع العلمي، وسأتناول في هذا العرض مسألة الاختيار بين المذاهب ثم بعد ذلك أبين المرجحات التي اعتمدها السلف واعتمدناها من بعدهم كخلف مخلص لهم في القول بوجوب اتباع المذهب المالكي دون غيره:

وقبل ذلك أود أن أشير إلى حقيقتين هامتين:

أولهما: إن الاختلاف بين المذاهب الفقهية الإسلامية ليس اختلافا في الدين وهيمنة الشريعة على أعمال المكلفين، وإنما هو اختلاف في التعرف على جزئيات الشريعة وأحكامها التفصيلية . وهو ليس اختلافا في الاحكام التي أدلتها قطعية، وإنما هو اختلاف فيما كان دليله ظنيا فحسب.

ثم هو بعد ذلك ليس اختلافا قائما على التشهي والتعصب، وإنما هو نتيجة لاختلاف الرأي والاجتهاد بناء على اختلاف طرق البحث والاستنتاج والاستنباط بين المجتهدين وقائم على على أسباب موضوعية طبيعية ترجع:

أما إلى الاشتراك الذي في الألفاظ كلفظ" القرء" الذي ينطلق على الطهر وعلى الحيض ولفظ" الأمر" الذي يحصل على اللزوم أو على الندب.

وإما إلى اختلاف الإعراب

وإما إلى تردد اللفظ في حمله على الحقيقة أو حمله على نوع من أنواع المجازوإما الى عد اللفظ مطلقا تارة ومقيدا أخرى كإطلاق الرقبة على كل عبد أو تقييدها بالعبد المؤمن.

وإما إلى تردد اللفظ بين الخصوص والعموم .

وإما إلى اختلاف الراوية والنقل، واختلاف الأقيسة والاجتهاد فيما لا نص فيه، واختلاف طرق الترجيح.

وإما إلى الاختلاف في الناسخ والمنسوخ.

كما يرجع إلى أسباب اقليمية محضة مثل كثرة الحديث في الحجاز وقلته في العراق وما نتج عن ذلك من أثر في تكوين المجتهدين وتباين المناخ العلمي، ومثل تعقد الحياة في هذا الإقليم وبساطتها في الإقليم الأخر مما يؤثر في دعاوى إعمال الراي وكثرة الاجتهاد، وهكذا فلا أثر في اختلاف المذاهب الفقهية لأية أنانية شخصية، أو عصبية قبلية أو اقليمية، وكل الأئمة أصحاب المذاهب رضوان الله عليهم كانوا مخلصين في التعرف على أحكام الشريعة من مصادرها وأصولها وتتبع الدليل وابتغاء الحق.

وثاني الحقيقتين اللتين أريد الاشارة إليهما هي أن فكرة الانتقال من مذهب إلى مذهب وتتبع رخص المذاهب ليست فكرة جديدة

ولا أنها انتظرت العصر الحاضر لتطرح كوسيلة من وسائل التوسع في التشريع، بل هي قديمة ترجع إلى العهود الأولى التي تكونت فيها المذاهب الفقهية فقدكانت تلك المذاهب تتعايش في القطر الواحد، وكان الناس يستفتون من شاءوا من علماء تلك المذاهب، وكان في البلد الواحد قضاة يحكمون وفق تلك المذاهب جميعها. واستمر ذلك طيلة القرنين: الأول والثاني للهجرة، لا تكاد تقيده إلا بعض الضوابط الخفيفة التي سنشير إليهما فيما بعد.

وإذا كان الائمة أصحاب المذاهب قد رسموا بسلوكهم مثالا عاليا في التسامح واحترام بعضهم البعض وتعظيم كل واحد منهم للآخر ، فإن أتباعهم على العكس من ذلك لم يسلموا من التعصب في غالب الأحيان الشيء الذي ضرب عزلة تامة بين تلك المذاهب، وأصبحت عبارة عن تحزبات متنافرة، وغدت فكرة الانتقال من مذهب إلى مذهب تكاد تساوى الانتقال من دين إلى دين.

وفي العصور الحديثة أخذت فكرة تظهر من جديد مع ظهور الحركة السلفية في المشرق وأخذت تجد لها مجالها في التشريع الحديث سواء في شرق العالم الإسلامي أو في غربه، وقد ظهر هذا جليا في عمل المشرع المغربي في مدونة الأحوال الشخصية ونحاول الان التعرف على أقوال العلماء في هذا الموضوع، ومستند كل قول.

إن العلماء في حكم الانتقال من مذهب إلى مذهب ثلاثة أقوال حسب ما بلغ إليه علمي.

الأول . الإباحة بالإطلاق.

الثاني . الإباحة بشروط.

الثالث . المنع بالإطلاق.

أما القول الأول: وهو القول بالإباحة مطلقا، فيعتمد على أربعة أدلة.

الدليل الأول: ان شعور الناس بالترخص وفاقا لمذهب مخالف لمذهبهم خير من شعورهم بالترك عصيانا للشريعة جملة.

الثاني: إن الرخص حظ العباد من لطف الله وان سعيهم لاغتنام هذا الحظ مقبول في الشريعة، داخل في مقاصدها.

الثالث: إن النوازل والأقضية التي تنزل بالناس في كل عصر، يضيق عنها مذهب واحد مهما اتسع.

الرابع : إن للناس في السلف الصالح قدوة، ألا ترى انهم قرروا أن قول الصحابي حجة وان قول صحابي إذا عارضة قول صحابي آخر فإن كل واحد منهما حجة، وللمكلف في كل واحد منهما متمسك، والنبي ،صلى الله عليه وسلم، يقول: « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، فنفع الله باختلافهم الانام فلا يعمل العامل بعمل رجل منهم إلا رأى انه في سعة ورأى أن خيرا منه قد عمله. كما قال القاسم بن محمد بن أبي بكر وروى عن سيدنا عمر بن عبد العزيز انه قال: (ما سير ني باختلافهم حمر النعم) وكذلك الناظر في أقاويل غيرهم من الأئمة لا سيما وانهم جميعا على سنن الصحابة. وقد نظم أبو مزاحم الخاقاني ذلك في شعر له قال:

فآخذ من مقالهم اختياري ... وما أنا بالمباهي والمسام
وآخذى باختلافهم مباح ... لتوسيع الإله على الأنام
ولست مخالفا إن صح لي عن ... رسول الله قول بالكلام
إذا خالفت قول رسول ربي ... خشيتُ عقابَ ربٌ ذي انتقام

وروي عن الحكم بن عتيبة انه قال : ليس أحد من خلق الله إلا يؤخذ من قوله ويترك، إلا النبي صلى الله عليه وسلم.

ويمكن القول بأن هذا الاتجاه بقي ضعيفا عند جماعة من أهل العلم ورفضه أكثر الفقهاء وان مال إليه جماعة من أهل الحديث كما ورد في كتاب جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر ابن عبد البر.

وفي القرن الثامن الهجري نجد تاج الدين السبكي يقول في كتابه " معيد النعم ومبيد النقم":

«وأما تعصبكم في فروع الدين، وحملكم الناس على مذهب واحد، فهو الذي لا يقبله الله منكم، ولا يحملكم عليه إلا محض التعصب والتحاسد ولو أن الشافعي وابا حنيفة ومالكا واحمد أحياء يرزقون ، لشددوا النكير عليكم وتبرءوا منكم فيما تفعلون. فلعمر الله لا أحصي عدد من رأيته يشمر عن ساق الاجتهاد في الإنكار على شافعي يذبح ولا يسمي، أو حنفي يلمس ذكره ولا يتوضأ ، أو مالكي يصلي ولا يبسمل ، أو حنبلي يقدم الجمعة على الزوال . وهو يرى من العوام ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى يتركون الصلاة التي جزاء من تركها عند الشافعي ومالك وأحمد ضرب العنق . ولا ينكرون عليه».

وأما القول الثاني: وهو القول بالإباحة مع شروط وضوابط لا بد منها، من بينها:

أولا: أن تكون هناك ضرورة لهذا الانتقال.

ثانيا : أن لا يأخذ المقلد بأكثر من مذهب واحد في المسألة بعينها، بحيث إذا عمل بمذهب معين في مسألة من المسائل ثم تكررت نفس المسألة فلا يجوز له العمل بمذهب آخر فيها، بل يتعين عليه الالتزام بنفس المذهب الذي التزم به في سابقتها.

ثالثا : الا تكون المسألة الثانية متصلة بالمسألة الأولى، فإذا كانت متصلة بها تعين عليه العمل بنفس المذهب فيهما معا.

رابعا: أن لا يكون الانتقال من مذهب إلى مذهب موقعا في أمر يجتمع على إبطاله إمامه الأول وإمامه الثاني، فإذا نكح بلا ولي تقليدا لأبي حنيفة مثلا، أو بلا شهود تقليدا لمالك ووطىء فانه لا يحد، وأما إذا نكح بلا ولي ولا شهود أيضا وجب عليه الحد، لان الإمامين قد اتفقا على البطلان.

خامسا: أن يكون الانتقال من مذهب إلى مذهب على سبيل الترجيح بقوة الدليل لا بالتشهي.

فإذا راعى القاضي أو المفتي أو الشخص العادي في خاصة نفسه هذه الشروط أمكنه الاختيار في المذاهب وانتقاء ما يناسب حاله ومقامه منها . وأما إذا لم يراعها فإنه لا يحل له ذلك أبدا.

أما القول الثالث :وهو القول بالمنع مطلقا فأصحابه من جهة، يحتمون التقليد على كل من لم يبلغ درجة الاجتهاد وهم أكثر هذه الأمة ، ذلك أن حكم المتعبد بأوامر الله ونواهيه المتشرع بشريعة نبيه عليه السلام طلب معرفة ذلك من كتاب الله وسنة نبيه وإجماع المسلمين، وهذا كله لا يتم إلا بعد تحقق العلم بذلك والطرق والآلات الموصلة إليه وهذا كله يحتاج إلى مهلة.

والتعبد لازم لحينه، ثم إن الواصل إلى هذا الطريق، وهو طريق الاجتهاد والحكم به في الشرع قليل وأقل من قليل بعد الصدر الأول والسلف الصالح والقرون المحمودة الثلاثة.

وإذا كان هذا فلا بد لمن يبلغ هذه المنزلة من المكلفين أن يتلقن ما تعبده به وكلفه من وظائف تشريعه ممن ينقله له ويعرفه به، ويستند إليه في نقله وعمله وحكمه، وهو التقليد، ودرجة عوام الناس بل أكثرهم هذا، ومن جهة أخرى، فإنهم لا يسمحون بتقليد غير المذاهب الأربعة ولو كانوا من الصحابة رضوان الله عليهم، كما نقله العلامة جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن القيوشي الاستوي في كتابه التمهيد في تخريج الفروع على الأصول عن جماعة منهم ابن برهان وإمام الحرمين وابن الصلاح. قالوا: لأن مذاهب الصحابة غير مدونة ولا مضبوطة حتى يمكن المقلد الاكتفاء بها ، أما مذاهب الأئمة الأربعة فقد انتشرت، ومسائلها تحققت وانضبطت، وعلم تقييد مطلقها، وتخصيص عامها، وشرط فروعها، بخلاف مذاهب غيرهم رضى الله عنهم أجمعين.

ومن جهة ثالثة، فإنهم يلزمون المقلد بأن لايقلد سوى مذهب واحد من المذاهب الأربعة المشهورة لأن تقليد جميعهم لا يتفق في أكثر النوازل وجمهور المسائل، لاختلاف الأصول التي بنوا عليها، ولأن الإمام لمن التزم تقليد مذهبه كالنبي عليه السلام مع أمته لا يحل له مخالفته ،كما نقله القاضي عياض في ترتيب المدارك.

ومن جملة ما احتجوا به في هذا الباب ما ذكره الشاطبي في الموافقات من أن الانتقال من مذهب إلى مذهب في القضاء والفتيا من شأنه أن يؤدي إلى اختلاف أحكام القضاة وفتاوى المفتين في الاقضية والنوازل المتشابهة، وقد كتب سيدنا عمر بن الخطاب إلى أحد قضاته (لا تقض بقضاءين في أمر واحد فيختلف عليك امرك)

ثم إن في إباحة الانتقال من مذهب إلى مذهب داعية إلى مراعاة حيثيات الأشخاص وشهوات النفوس، واتباع الهوى مع أن فائدة وضع الشريعة هي إخراج المكلف عن داعية هواه، والله تعالى يقول» فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ، ورد الشيء إلى الله والرسول هو الرجوع إلى الأدلة الشرعية، ومتى خيرنا المقلدين في مذاهب الأئمة لينتقوا منها طيبا عندهم لم يبق لهم مرجع إلا اتباع الشهوات في الاختيار وهذا مناقض لمقصد الشريعة فلا يصح القول بالتخيير بحال.

ثم إنه من جهة أخرى، إذا كان التخيير لا يكون بدون دليل، فإنه لا بد للحاكم أو المفتي من بلوغ درجة الاجتهاد. وحين فقدنا الحاكم والمفتي الذي يبلغ هذه الدرجة وكان عامة الناس مجردين من هذه الصفة لم يكن به من الانضباط إلى أمر واحد ومذهب واحد.

ثم إن السماح بالانتقال من مذهب إلى مذهب تتبعا للرخص يؤدي إلى إيجاب إسقاط التكليف جملة، لأن التكاليف كلها شاقة ثقيلة، ولذلك سميت تكليفا من الكلفة وهي المشقة . وهذه المشقة الموجودة في التكليف جملة تقع للعباد ابتلاء واختبارا لإيمان المؤمنين وتردد المترددين ، قال تعالى » ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، وقال: « الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولون آمنا وهم لا يفتنون» والترخص إذا أخذ به في موارده على الاطلاق كان ذريعة إلى انحلال عزائم المكلفين في التعبد على الاطلاق لأنهم إذا اعتادوا الترخص صارت كل عزيمة في يدهم كالشاقة الحرجة ، وإذا صارت كذلك لم يقوموا بها حق قيامها وطلبوا الطريق إلى الخروج منها.

وبعد فقد حصر القاضي عياض قائمة المقلدين المقتدى بمذاهبهم وأصحاب الاتباع من سائر الأقطار والبقاع في ما يلي:

مالك بن أنس ،

وأبو حنيفة،

والثوري،

والحسن البصري،

والأوزاعي،

والشافعي،

وأحمد بن حنبل،

وأبوجعفر الطبري،

وداوود الأصبهاني،

وقال بأن هؤلاء هم الذين وقع إجماع الناس على تقليدهم مع الاختلاف في أعيانهم.

وبيّن رحمه الله أن مالكا رضي الله عنه هو أولاهم بالتقليد لجمعه أدوات الإمامة وتحصيله درجة الاجتهاد وكونه أعلم القوم بأهل زمانه واتفاق أهل وقته على شهادتهم بذلك وتقديمه وهو القدوة والناس إذاك ناس، والزمن زمان، ثم للأثر الوارد في عالم المدينة التي هي داره، وانطلاق هذا الوصف والإضافة على السنة الجماهير له، وموافقة أحواله الحال الذي أخبر في الحديث عنه، وتاويل السلف الصالح له أنه المراد به، ومن تفضيله لرأيه اعتمد على خمس حجج:

أولاها: الأثر المشهور الصحيح المروي من ذلك عن الرسول عليه السلام من حديث الثقات قال : "يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم»- وفي رواية يلتمسون العلم - فلا يجدون عالما أعلم»-وفي رواية افقه من عالم المدينة - وفي رواية من عالم بالمدينة-"

قال سفيان بن عيينة من غير طريق واحد: نرى أن المراد بهذا الحديث مالك بن أنس، وفي رواية هو مالك بن أنس.

قال القاضي عياض رحمه الله:

"ووجه احتجاجنا بهذا الحديث بأنه مالك من ثلاثة أوجه، أحدها: تقليد السلف بأن المراد بالحديث هو.

الثاني : أنك إذا اعتبرت ما أوردناه ونورده من شهادة السلف الصالح بأنه أعلم من بقي وأعلم الناس، وإمام الناس وعالم المدينة، وإمام دار الهجرة ، وأمير المؤمنين في الحديث، وأعلم علماء المدينة وتعويلهم عليه واقتداؤهم به واجماعهم على تقديمه، ظهر أنه المراد بالحديث، إذ لم تحصل هذه الأوصاف لغيره.

الثالث : هو ما نبه عليه بعْض الشيوخ من أن طلبة العلم لم يضربوا أكباد الإبل من شرق الأرض وغربها إلى عالِم ولا رحلوا إليه من الآفاق رحلتهم إلى مالك. ثم ينتقل القاضي إلى بيان الترجيح الثاني وهو من طريق النقل والمعتمد فيه نقول عن السلف وائمة المسلمين وعلمائهم بالاعتراف لمالك رحمه الله بأنه أعلم وقته وإمامه وأعلم الناس..

ومن ترجيحه من طريق الاعتبار والنظر اعتمد القاضي عياض على ثلاثة اعتبارات:

الأول : إنه جمع درجات الاجتهاد في الدين وحاز خصال الكمال في العلم، وبلغ في ذلك كله المنزلة التي لم يبلغها أحد من هؤلاء المقلدين.

الاعتبار الثاني: أنك إذا نظرت لأول وهلة منازع هؤلاء الائمة وتقرير مأخذهم في الفقه والاجتهاد في الشرع وجدت مالكا رحمه الله تعالى ناهجا في الأصول(يعني الكتاب والسنة والاجماع والقياس) مناهجها، مرتبا لها مراتبها ومدارجها، مقدما كتاب الله ومرتبا له على الآثار، ثم مقدما لها على القياس والاعتبار، تاركا منها لما لم يتحمله عنده الثقات العارفون بما تحملوه أو ما وجد الجمهور والجم الغفير من أهل المدينة قد عملوا بغيره وخالفوه، ولا يلتفت إلى من تأول عليه بظنه في هذا الوجه بسوء التأويل، وقوله ما لا يقوله بل ما يصرح بأنه من الأباطيل، ثم كان من وقوفه على المشكلات وتحريمه عن الكلام في المعصومات ما سلك به سبيل السلف الصالحين وكان يرجح الاتباع ويكره الابتداع والخروج عن سنن الماضين.

وأما الاعتبار الثالث: فهو الالتفات إلى قواعد الشريعة ومجامعها، وفهم الحكمة المقصودة بها من شارعها.

وهذا الذي ذهب إليه القاضي عياض هو الذي قال به مالا يحصى من العلماء وبه نقول ونحن تلاميذهم السالرون على دربهم، والمتمسكون بنهجهم القويم وبصراطهم المستقيم.

ونضيف أن أهم ما ينبغي التمسك به -خروجا من التعصب -مسايرة للشريعة الإسلامية القائمة على اليسر ورفع الحرج هو منهج الإمام مالك بالخصوص، حتى نستطيع أن نكون مالكيين صالحين للتكيف مع الظروف المتغيرة، والأحوال المستجدة ، ومسايرين لركب الحضارة في تجددها وتطورها .

والسلام عليكم ورحمة الله .

الهوامش:

* شارك به صاحبه في ندوة عن الإمام مالك 1984 بصفته أستاذ امحاضرا كلية الشريعة بفاس وقتها.

موطأ الإمام مالك (*)

للفقيه المحدث الشيخ محمد التهامي كنون

قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله تعالى في كتابه عارضة الأحوذي في شرح الترمذي:« الموطأ هو الأصل الأول واللباب، والبخاري الأصل الثاني في هذا الباب، وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذي قال وذكر ابن التيهان أن مالكا رضي الله عنه روى مائة ألف حديث جمع منها في الموطأ عشرة آلاف ثم لم يزل يعرضها على الكتاب والسنة ويختبرها بالآثار والأخبار حتى رجعت إلى خمسمائة وقال الكيّا الهراسي« موطأ مالك كان تسعة آلاف حديث ثم لم يزل ينتقي حتى رجع إلى سبعمائة».

وفي المدارك عن سليمان بن بلال ألف مالك الموطأ من الآثار عن النبي ، صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة والتابعين ألف وسبعمائة وعشرون حديثا المسند منها ستمائة حديث، والمرسل مئتان واثنان وعشرون ، والموقوف ستمائة وثلاثة عشر . ومن قول التابعي مائتان وخمسة وثمانون.

وقال الغافقي: مسند الموطأ ستمائة حديث وستة وستون حديثا.

وإلى عد الغافقي مع الأبهري أشرت بقولي:

عدُّ أحاديث الموطأ المروية ... بعدُ ما للغافقي ستمية
وستة تضاف للستين ... وعدُّها مجملة عشرون
أضف لها ألفا وسبعماية ... بعد الأبهري الإمام الثقة

وقد أطلق جماعة على الموطأ اسم الصحيح واعترضوا قول ابن الصلاح أول من صنف فيه البخاري قال الحافظ مغلطاي :اول من صنف الصحيح مالك وقال جلال الدين السيوطي: إن ما في الموطأ من المراسيل هي حجة عنده بلا شرط وعند من وافقه من الأئمة ، وهي حجة عندنا أيضا، لأن المرسل حجة عندنا إذا اعتضد وما من مرسل في الموطأ إلا وله عاضد أو عواضد، فالصواب إطلاق أن الموطأ صحيح لا يستثنى منه شيء. وقد صنف ابن عبد البر كتابا في وصل ما في الموطأ من المرسل، والمنقطع، والمعضل، قال: وجميع ما فيه من قوله بَلَغَني ومن قوله "عن الثقة" مما لم يسنده أحد وستون حديثا، كلها مسندة من غيرطريق مالك إلا أربعة لا تعرف، أحدها« إني لا أنسى ولكن انسى لاسن »، والثاني « أن النبي ، صلى الله عليه وسلم، أُرِيَ أعمارَ الناس قَبْلَه أو ماشاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار امته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغه غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر والثالث: قول معاذ: « آخر ما أوصاني به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، وقد وضعت رجلي في الغرز أن قال حسن خلقك للناس، والرابع ، إذا نشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة». لكن قصور المتأخرين عن وجود هذه الأربعة موصولة لا يقدح فيها فلعلها وصلت في الكتب التي لم تصل إليهم هـ وقد جمع هذه الأحاديث الأربعة العلامة أبو عبد الله سيدي محمد الرهوني رحمه الله بقوله:

وكل مالم يسند الإمام ... في موطأ أسنده الأعلام
إلا انسي لأسن ورأى ... عمر من مضى طويلا قد نأى
مع وصية معاذ وردت ... كذا إذا بحرية تشاءمت

هذا وقد قال الحافظ صلاح الدين العلائي رحمه الله: روى الموطأ عن مالك جماعة كثيرة، قال: وبين رواياتهم من تقديم وتأخير وزيادة ونقص.

وقال ابن حزم: في رواية أبي مصعب زيادة نحو مائة حديث على سائر الموطئات.

وقال السيوطي: في رواية ابن الحسن أحاديث يسيرة على سائر الموطئات منها حديث: « إنما الأعمال بالنيات... » الحديث، وبذلك يتبين صحة عزوه للموطأ هـ .

وفي الإرشاد للخليلي قال أحمد بن حنبل: كنت سمعت الموطأ من بضعة عشر رجلا من حفاظ أصحاب مالك فاعدته على الشافعي لأني وجدته أقدمهم هـ .

وأشهر روايات الموطأ وأحسنها: رواية أبي محمد يحيى بن يحيى بن كثير الليثي الأندلسي عن الإمام، وقد كان سمعها أول شبابه من زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون . ثم رحل وهو ابن ثمان وعشرين سنة إلى مالك فسمعها منه غير أبواب في الاعتكاف شك فيها فحدث بها عن زيادة ثم رجع يحيى إلى الأندلس وانتهت إليه الرياسة ، بها وبه اشتهر مذهب مالك في تلك البلاد. وكان معظما عند الأمراء، مجاب الدعوة. وكان مالك يسميه عاقل الأندلس لأنه كان في مجلس بين يدي مالك فمر بهم فيل فقام جميع من كان في المجلس إلا يحيى، فقال له مالك: لمَ لمْ تقم لترى هذا الخلق العجيب فإنه لم يكن ببلادك؟ فقال: إنما جئت من بلدي لأنظر إليك، وأتعلم من هديك، ولم أجئ لأنظر إلى الفيل فأعْجَبَ مَالِكًا قولُه وسماه بذلك توفي رحمه الله سنة أربع وثلاثين ومائتين ودفن بمقبرة ابن عباس بظاهر قرطبة. وقد روى عنده الموطأ ولده عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثي مولاهم فقيه قرطبة وسيد الأندلس وهو القائل حدثنا يحيى على ما في بعض النسخ ، توفي سنة ثمان وسبعين ومائتين.

ورواها عنه أيضا أبو عبد الله سيدي محمد بن وضاح

ثم إن يحيى هذا لا رواية له في شيء من الصحيحين ، ولا بقية كتب السنة ، بخلاف أبي زكرياء يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمي الحنظلي النيسابوري راوي الموطأ أيضا عن الإمام فقد روى عنه البخاري ومسلم في صحيحيهما ومن لا خبرة له كثيرا ما يلتبس عليه هذا بالأول، توفي رحمه الله سنة ست وعشرين ومائتين. هذا وفي جامع المعيار سئل ابن رشد عما وقع في الموطأ من نحو: « سئل مالك عن كذا، وقال يحيى: سألت مالكا عن كذا هل هو مما زاده يحيى على ما كان ألفه مالك من الموطأ م ما حققته ؟ فأجاب بأنه لا يصح أن يقال أن يحيى زاد في الموطأ شيئا وليس فيه وسألت مالكا كما ذكرته وإنما فيه كثيرا: قال يحيى وسئل مالك وقال يحيى، وسمعت مالكا يقول وقال يحيى قال مالك، فما فيه من قوله قال يحيى وسئل مالك يحتمل أن مالكا لما ألّفَهُ وكتبه بيده قال فيه: وسئلت عن كذا فلما انتسخه النقلة له قال كل منهم: وسئل مالك، ويحتمل أن مالكا رحمه الله لم يكتب الموطأ- إذ ألفه بيده وإنما أملاه على من كَتَبه فأملى هو وسُئِلتُ فَكَتَبَ الكَاتِبُ وسُئِلَ مالك إذ لا يصح إلا ذلك وأما قوله وسَمِعْتُ مالكا يقول فإنما قاله في الموطأ فيما سمعه منه بلفظه وهو يسير، لأن مالكا رحمه الله إنما كان يقرأ عليه فيسمعه الناس بقراءة القارئ عليه على مذهبه، في أن القراءة على العالم أصح للطالب من قراءة العالم، فما سمعه عليه بقراءته أو بقراءة غيره ولم يسمعه من لفظه - هو الأكثر -قال فيه: "حدثني مالك"، و"قال مالك"، وما اتفق أن سمعه منه من لفظه قال فيه: و"سمعت مالكا يقول كذا،" وبالله التوفيق. هـ .

(*) أقرب المسالك الى موطأ الامام مالك

تأملات و خواطر

محمد الخضر الريسوني

إلى متى يستمر العدوان الظالم على شعب فلسطين؟

يتواصل العدوان الصهيوني على الشعب الفلسطيني بأوامر وتوجيهات من سفاح " صابرا وشتيلا" وقامت قواته أخيرا بإعادة احتلال أجزاء واسعة من مناطق السيادة الفلسطينية وتطويق كافة المدن بالدبابات ولا تستثني في ذلك الأشجار والمزروعات وتابعت عدوانها بتدمير وتجريف منازل السكان وتشريد الآلاف من أبناء فلسطين.

إن ما يرتكبه الصهاينة على أرض فلسطين هومخالف لجميع القوانين الدولية في العالم ومنها الفقرة الرابعة من المادة الثانية لميثاق المنظمة الدولية القائلة: « يمتنع أعضاء الهيئة جميعا في علاقاتهم الدولية عن التهديد بالقوة واستخدامها ضد سلامة الأرض والاستقلال السياسي لأية دولة. . ونصت قرارات الأمم المتحدة عام 1946 . 1948 على تحريم إبادة الجنس وحماية الجماعات الانسانية في إلحاق أي نوع من أنواع الضرر بها ، وأكدت اتفاقية جنيف عام 1949 على ضرورة حماية المدنيين.

وإذن ، ما يفعله شارون بالشعب الفلسطيني هو انتهاك لهذه القوانين . واعتداءاته الوحشية على الأطفال والنساء يؤكد مرة أخرى على أنه هو الفاعل الحقيقي والمساهم في المجازر والقتل العمد ضد الشعب الفلسطيني . وهو يمارس عدوانه بنفس ما كان يتباهى به سلفه القبيح « مناحم بيجن» الذي كان شعاره « أنا أحارب إذن أنا موجود»، وفي زعمه أنه من الدم والنار والدموع والرماد يستخرج نموذج جديد من الرجال، وموشي ديان يقول : إن إسرائيل تقوم على الحرب وليس السلام.. هذا هو قدرنا، ويعلن « مناحم بيجن»: أن قوة التقدم في العالم ليست في السلام بل في الحرب . وآخر حكماء صهيون ناحوم جولدمان، يعترف بأن كلا من القائمين على الحركة الصهيونية أو على إسرائيل لم يكونوا أبناء شرعيين "للأرض الموعودة" فهم نبت أوروبا وأمريكا وانهم في حقيقتهم مستعمرون ولا يعرفون شيئا عن العرب سوى أنهم فقط مجموعة من البدو متفرقين في صحاري الشرق الأوسط، ولذا فإنهم سيزرعون في المنطقة كيانا أوروبيا عصريا وسط ركام متخلف وسيحيلون هذه السهول إلى "جنان".

إن هذا الشكل الدعائي الذي تواجه به إسرائيل العالم حتى يتغاضى عن جرائمها في حق الشعب الفلسطيني ينطوي على خبث كبير ، ولو كانت للصهاينة رسالة حضارية لقبلوا " أوغنداء " أو "مدغشقر" عندما عرضت عليهم إلا أنهم اختاروا فلسطين لا لاعتبارات دينية أو بسبب إشارات مزعومة " للتوراة " وإنما لأن فلسطين استراتيجية وهي ملتقى الطرق بين أوروبا وآسيا وإفريقيا.

إن نظرة الصهاينة إلى الحرب تقوم على التدمير والإبادة، وفي آخر اعتداءاتهم على أهل فلسطين يعتمدون التمثيل بالقتلى وغابت عنهم وهم قوم يجهلون تلك القيم الإسلامية الخالدة التي جسدها خليفة رسول الله أبو بكر- رضي الله عنه- عندما نصح جنود المسلمين الذاهبين إلى الحرب بقوله: « لا تخونوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ولا تعقروا نخلا، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة أو بقرة أو بعيرا إلا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم للصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له».

إن العالم أجمع ، وعلى رأسه مؤسساته يقف اليوم متفرجا على أكبر الجرائم والمذابح وحشية وهمجية في التاريخ الإنساني من غير أن تهتز له شعرة مادام المعتدى عليهم ينتمون إلى أمة الإسلام.

أثر الشخصية المغربية في فقه مالك

■ الاستاذ محمد الورياغلي

لماذا اختار المغاربة مذهب مالك دون غيره؟

أولا مذهب مالك ليس مذهبا لمالك كما سبق وإنما هو مذهب المغاربة اختاروا أن يعملوا به في بلدهم كافة بالتدريج ، حتى تم لهم ذلك، فاستمر لهم مذهبا إلى الآن ، فنسبته إلى مالك لا يخلو من تسامح.

ثانيا: اختاروه لكونه مذهب أهل السنة وفقه الصحابة والتابعين.

وهذه الاعتبارات لها قداسة خاصة في نفوس المغاربة ، وايضا علوم السنة واجتهادات الصحابة والتابعين هي أصل العلوم الإسلامية كلها، نشأت في المدينة ، ونضجت في المدينة ومنها تفرقت إلى جميع الآفاق.

ثالثا : ولكون علوم أهل المدينة علوما عملية أكثر منها نظرية، وتتمشى مع الفطرة في بساطة وجد ووضوح، لا تكلف ولا تعمق، والمغاربة يحبون البساطة والوضوح والجد، ويكرهون النظريات المتطرفة، والتأويلات المتكلفة- دائما . وهذه طبيعتهم باستمرار . جاء في جذوة المقتبس للحميدي رقم 109، قال الحميدي: سمعت أبا عبد الله محمد ابن الفرج ابن عبد الله . الأنصاري يقول : سمعنا أبا محمد عبد الله بن أبي زيد يسأل أبا عمر أحمد بن محمد بن سعدي المالكي عند وصوله إلى القيروان من ديار الشرق، وكان أبو عمر دخل بغداد في حياة أبي بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهري ، فقال له يوما : هل حضرت مجالس أهل الكلام؟ فقال بلى ، حضرتهم مرتين ثم تركت مجالسهم ولم أعد إليها ، فقال له ابو محمد ولم؟ فقال أما أول المجلس حضرته فرأيت مجلسا قد جمع الفرق كلها ، المسلمين من أهل السنة والبدعة، والكفار من المجوس ، والدهرية والزنادقة واليهود والنصارى وسائر أجناس الكفر، ولكل فرقة رئيس يتكلم على مذهبه ويجادل عنه ، فإذا جاء رئيس من أي فرقة كان قامت الجماعة إليه قياما على أقدامهم حتى يجلس ، فيجلسون بجلوسه، فإذا غص المجلس بأهله ورأوا انه لم يبق لهم أحد ينتظرونه قال قائل من الكفار ، قد اجتمعتم للمناظرة، فلا يحتج علينا المسلمون بكتابهم ولا بقول نبيهم ، فإنا لا نُصدِّقُ بذلك ولا نُقِرُّ به، وإنما نتناظر بحجج العقل وما يحتمله النظر والقياس ، فيقولون نعم لك ذلك . قال أبو عمر: فلما سمعت ذلك لم أعد إلى ذلك المجلس، ثم قيل لي ، ثَمَّ مجلس آخر للكلام،فذهبت إليه فوجدتهم مثل سيرة أصحابهم سواء ، فقطعت مجالس الكلام فلم أعد إليها ، فقال أبو محمد بن أبي زيد ورضي المسلمون بهذا الفعل والقول؟ قال أبو عمر: هو الذي شاهدت منهم. فجعل أبو محمد يتعجب من ذلك، وقال: ذهب العلماء، وذهبت حرمة الاسلام وحقوقه ، وكيف يبيح المسلمون المناظرة بين المسلمين والكفار؟ وهذا لا يجوز أن يفعل لأهل البدع الذين هم مسلمون ويقرون بالاسلام ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم، وإنما يدعى من كان على بدعة من منتحلي الاسلام، إلى الرجوع إلى السنة والجماعة ، فإن رجع قبل منه، وإن أبى ضربت عنقه، وأما الكفار فإنما يدعون إلى الإسلام، فإن قبلوا كف عنهم وان أبوا وبذلوا الجزية في موضع يجوز قبولها كف عنهم وقبل منهم ، وأما أن يناظروا على ألا يحتج عليهم بكتابنا ولا بنبينا فهذا لا يجوز ، فإنا لله وإنا إليه راجعون) هـ .

وهذه قصة أخرى فيها شيء من هذا المعنى، جاء في تاريخ ابن الفرضي رقم 169/ 1 قال : (خليل بن عبد الملك بن كليب المعروف بخليل الفضلة من أهل قرطبة ، رحل إلى الشرق ، وروى بها كتاب التفسير المنسوب إلى الحسن بن أبي الحسن، من طريق عمرو بن فائد ، رواه عنه يحيى بن السمينة وكان يجاهر بالقدر، وكان في بدء أمره صديقا لابن وضاح ، ثم لما تبين أمره لابن وضاح هجره، وبعد موت خليل هذا عمد الفقهاء إلى كتبه فأحرقوها إلاّ ما كان فيها من كتب المسائل)هـ .

فهاتان القصتان تعطيان لنا موقف المغاربة بجميع أقطاره من أهل البدعة من المسلمين ومن الجدال في العقيدة وعلم الكلام، وهم تابعون في ذلك لمدرسة مالك وأهل السنة ، وموقف هذه المدرسة من المعتزلةمعروف يتمثل في الكراهة والشجابة والنفور، كما أن موقفها أيضا في التفويض معروف ، فقد قال مالك (ض) لما سئل عن قوله تعالى: « الرحمان على العرش استوى»، الاستواء معلوم والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، لذا كان المذهب الأشعري في العقيدة هو مذهب المغاربة كلهم ولم يشذ عنها منهم شاذ . قال السبكي في مفيد النعم ومبيد النقم: (وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية . وفضلاء الحنابلة يد واحدة، كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون بطريقة شيخ السنة أبي الحسن الأشعري ، لا يحيد عنها إلا رعاع من الحنفية والشافعية لحقوا بأهل الاعتزال ، ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرا الله المالكية فلم ير مالكي إلا أشعري العقيدة) هـ وهذه طبيعة المغاربة دائما عند ما يعتنقون مذهبا يجتمعون عليه ويتعصبون له ولا يسمحون لمذهب آخر يعيش بجانبه، وهذه الميزة لا تجدها في المشرق . هناك تجد في المذهب الحنفي -مثلا- سنيا ومعتزليا وجهميا ورافضيا، كما أنك تجد هناك في البلد الواحد حنفيا وشافعيا وحنبليا ومالكيا، أما المغاربة فلا تجد فيهم هذا التشتت في العقيدة أو التفرق في المذهب، ويكفيك دليلا على هذا أن المسجد الأموي بدمشق فيه أربعة محارب على ما يقال ، بينما المسجد الجامع في القيروان وقرطبة وفاس محراب واحد، وصدق رسول الله،صلى الله عليه وسلم، حيث قال الفتنة دائما تأتي من الشرق، وبالمفهوم إذا كانت الفتنة تأتي من الشرق فالوحدة والاتحاد يأتي من الغرب ، فقد جاء في صحيح مسلم رقم 18/31 عن ابن عمر (ض) أنه سمع رسول الله (ص) وهو مستقبل المشرق) يقول (ألا إن الفتنة هاهنا، ألا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشمس.

رابعا : اختاروه لأنه يجمع بين الرأي والنصوص ، والرأي فيه أكثر من النصوص ، فموطأ مالك رحمه الله فيه سبعمائة حديث، وفيه من المسائل ثلاثة آلاف مسألة كما في الرسالة المستطرفة رقم 13 ، والمغاربة يميلون إلى الرواية تبركا ، وإلى الدراية اقتناعا ، ففقههم جامع بين الرواية والدراية، جامع بين الرواية لأنه فقه انتقال ويعتمد الرجال. وجامع للدراية لأنه يميل إلى المناقشة والكشف عن الحكمة وحصول الاقتناع.

عن أعمال ندوة الإمام مالك 1984ج،2

من نماذج الكوكبة الإيمانية

■ اعداد: ذ. محمد اصبان الحسني

إذا كان الشباب نعمة من الله على عباده - وما أكثر نعم الله علينا - فإن من صفوة الشباب وعلى رأسهم إمام العلماء يوم القيامة معاذ بن جبل رضي الله عنه الذي يعتبر في طليعة الكوكبة الإيمانية.

أسلم في الثامنة عشرة من عمره، شهد بيعة العقبة وبدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تفقه على يد رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى قال فيه الصادق المصدوق فيما روي عن انس (ض) ان رسول الله (صلع) قال: "أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل".

وجهه الرسول عليه الصلاة والسلام قاضيا إلى اليمن بعد غزوة تبوك، وخرج النبي الكريم عليه السلام يشيعه ماشيا على رجليه الكريمتين ومعاذ راكب على الراحلة، ثم قال له أيا معاذ إني أوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة، ورحمة اليتيم وحفظ الجار وكظم الغيظ، وخفض الجناح، وبذل السلام، ولين الكلام، ولزوم الإيمان، والتفقه في القرآن، وحب الآخرة، والجزع من الحساب، وقصر الأمل، وحسن العمل، وأنهاك أن تشتم مسلما، أو تكذب صادقا، أو تعصي إماما عادلا، يا معاذ اذكر الله عند كل حجر وشجر، وأحدث مع كل ذنب توبة، السر بالسر، والعلانية بالعلانية.

يقول معاذ: لما بعثني رسول الله (صلع) إلى اليمن قال لي، بم تقضي إن عرض لك قضاء؟ قلت أقضي بما في كتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله، قلت بما قضى به رسول الله (صلع)، قال: فإن لم يكن فيما قضى به رسول الله؟ قلت: أجتهد رأيي، عندها قال رسول الله (صلع): الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله. ثم قال له يا معاذ: عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك تمر بمسجدي هذا وقبري. فبكى معاذ، ثم قال له عليه الصلاة والسلام: يا معاذ إن أولى الناس بي المتقون أيا كانوا وحيث كانوا، يا معاذ يسّر ولا تعسر وبشر ولا تنفر....الخ.

أجل .. إن معاذ بن جبل كان من أفضل وأتقى شباب الأنصار حلما وحياء وسخاء ولم لا؟ والرسول(صلع) ربّى أصحابه تربية إيمانية أهلتهم لئن يكونوا نماذج بشرية فريدة في التاريخ.

لنستمع الى معاذ وهو يروي مكانته عند الرسول، قال: لقد أخذ رسول الله (صلعم) بيدي وقال لي: يا معاذ والله إني لأحبك فقال معاذ: بأبي وأمي يا رسول الله وأنا والله أحبك، فقال عليه السلام أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

ويكفي معاذ فخرا أن الرسول (صلع) لقبه بإمام العلماء يوم القيامة.

وسمع رسول الله (صلع) رجلا ينتقد معاذا فقال له عليه السلام: دَعْ عنك معاذا فإن الله يحبه.

التحق بالرفيق الأعلى ولم يبلغ أربعين عاما وختمت حياته بأن نال درجة الشهداء حيث توفى بالطاعون وترك الدنيا بعد أن خلف وراءه سيرة عطرة وتاريخا مجيدا جزاه الله خيرا عما قدم لأمة الإسلام.

مالك بن أنس 93هـ. 179هـ مؤسس المذهب المالكي

■ إعداد الاستاذ: ميلود المشرفي

اختلف العلماء والمؤرخون في السنة التي ولد فيها إمام دار الهجرة (ض) ولكن الأكثرين انه ولد سنة 93هـ وروى الواقدي أن أم مالك حملت به ثلاث سنين، كتاب "المناقب والسير"، وهو إمام الحرمين، المشهور في البلدين: الحجاز والعراقين، المستفيض مذهبه في المغربين والمشرقين.

هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الاصبحي اليمني، وأمه:العالية بنت شريك الازدية، ولد بالمدينة المنورة، ورأى آثار الصحابة والتابعين، كما رأى وعاين قبر الرسول (ص) والمشاهد العظام، وفتح عينيه بنور الحياة فوجد التقديس للمدينة ومابها، وكانت مهد العلم، ومبعث النور، ومنهل العرفان، فانطبع في نفسه تقديسها، ولازمه ذلك التقديس إلى أن توفي رحمه الله.

نشأ مالك (ض) في بيت علم وأدب وفقه وحديث، ومهتما بعلم الحديث واستطلاع الآثار وأخبار الصحابة وفتاويهم، فجده مالك بن أبي عامر كان من كبار التابعين وعلمائهم، روى عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وعائشة أم المؤمنين، وقد روى عنه بنوه: أنس أبو مالك الامام، وربيعةونافع المكنى بأبي سهيل، ويظهران أكثرهم عناية بالرواية أبو سهيل هذا، ولذا عد من شيوخ ابن شهاب الزهري، وإن كان مقاربا له في السن، بل لقد مات بعده، فقد جاء في فتح الباري:"أبو سهيل نافع بن أبي أنس بن مالك بن ابي عمر شيخ إسماعيل بن جعفر، وهو من صغار شيوخ الزهري بحيث أدركه تلامذة الزهري وهو أصغر منهم كإسماعيل بن جعفر، وقد تأخر أبو سهيل في الوفاة عن الزهري.

إن مالك لم يرو عن أبيه شيئا لأنه لم يكن من المشتغلين بالعلم والحديث، ولكن هذا لم يمنع مالكا من الأخذ عن أسرته التي اشتهرت بين الاسر بالعلم حتى عرف مالك في بداية أمره:بأخيه النضر لكثرة ما أخذ عنه، فلما ذاع أمره وأصبح أكثر شهرة من أخيه، صار يذكر النضر بأنه أخو مالك.

إن بيئة المدينة باعتبارها مهاجر النبي (ص) وموطن الشرع ومبعث النور، ومعقد الحكم الإسلامي الأول، كانت توعز بالعرفان، وتنمي المواهب، مما أسهم في تفتق ملكة مالك الفقهية، وانحفاز همته لدرك المعالي وبلوغ قمة المجد والسؤدد في العلم والحديث.

هكذا نشأ مالك في المدينة التي كانت مهد السنن وموطن الفتاوى المأثورة، اجتمع بها الرعيل الاول من علماء الصحابة، ثم تلاميذهم من بعدهم حتى جاء مالك فوجد تلك التركة المثرية من العلم والحديث والفتاوى، فنهلت مواهبه من ينابيعها وتفيأت في ظلاله الوارفة واختطفت خير ثمراتها، فحفظ القرآن الكريم في صغره، واتجه بعده إلى حفظ الحديث حيث قصد مجالس العلماء يأخذ من علمهم ويكرع من مناهلهم المتعلقة بسنة رسول الله (ص) ويرجع الفضل في العناية بعلم الحديث إلى والدته التي أحسنت توجيهه إلى ربيعة الرأي أولا، ثم إلى غيره من العلماء.

وهو إمام دار الهجرة بحق فقها وحديثا بعد التابعين، ولد في عهد الوليد بن عبد الملك وتوفي في عهد الرشيد في المدينة رحمه الله، ولم يرحل منها إلى بلد آخر، عاصر، كأبي حنيفة، الدولتين الاموية والعباسية لكنه ادرك من الدولة العباسية حظا أوفر، وقد اتسعت الدولة الاسلامية في عصر هذين الامامين فامتدت من المحيط الاطلسي غربا إلى الصين شرقا، ووصلت إلى أواسط أوروبا بفتح الاندلس.

شيوخه:

طلب العلم على علماء المدينة، ولازم عبد الرحمان بن هرمز مدة طويلة، واخذ عن نافع مولى ابن عمر وابن شهاب الزهري، وشيخه في الفقه، ربيعة بن عبد الرحمن المعروف "بربيعة الرأي" كان إماما في الحديث وفي الفقه، وكتابه "الموطأ" كتاب جليل في الحديث والفقه، قال عنه الشافعي رحمه الله:"مالك أستاذي، وعنه أخذت العلم، وهو الحجة بيني وبين الله تعالى، وما أحد أمن علي من مالك، وإذا ذكر العلماء، فمالك النجم الثاقب".

أشهر تلامذته:

فريق من المصريين، وفريق آخر من شمال إفريقيا والاندلس، منهم 7 مصريون، وهم:

1. أبو عبد الله، عبد الرحمن بن القاسم، تفقه على مالك 20 سنة، كان مجتهدا مطلقا، قال عنه: يحي بن يحي أعلم الاصحاب بعلم مالك، وأمنهم عليه، وهو الذي نظر فصحح المدونة في مذهب مالك، وهي من أجل الكتب عند المالكية، وعنه أخذ سحنون المغربي الذي رتب المدونة على ترتيب الفقه.
2. أبو محمد، عبد الله بن وهب بن مسلم: لازم مالكا 20 سنة ونشر فقهه في مصر، وكان مالك يكتب إليه:إلى فقيه مصر، وإلى أبي محمد المفتي، وكان محدثا ثقة، وكان يسمى :"ديوان العلم".
3. أشهب بن عبد العزيز القيسي: تفقه على مالك والليث بن سعد، انتهت إليه رئاسة الفقه بمصر بعد ابن القاسم، وله مدونة روى فيها فقه مالك تتمة "مدونة أشهب". قال عنه الشافعي:مارايت أفقه من أشهب.
4. أبو محمد، عبد الله بن عبد الحكم: اعلم أصحاب مالك بأقواله، وإليه صارت رئاسة المالكية بعد أشهب.
5. أصبغ بن الفرج، كان من أعلم خلق الله بمذهب مالك ومسائله.
6. محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، انتهت إليه الرئاسة والفتيا بمصر، والرحلة من بلاد المغرب والاندلس.
7. محمد بن إبراهيم الاسكندري بن زياد، المعروف بابن المواز وله كتابه المشهور "بالموازية" وهو أجل كتاب ألفه المالكيون وأصحه مسائل، وأبسطه كلاما، بنى فيه الفروع على الاصول.

ومن أشهر تلامذة مالك المغاربة سبعةوهم:

1. أبو الحسن، علي بن زياد التونسي: أخذ عن مالك والليث بن سعد، كان فقيه إفريقية توفي 183هـ.
2. أبو عبد الله، زياد بن عبد الرحمن القرطبي. يلقب بشبطون، سمع الموطأ من مالك، وكان أول من أدخله إلى الاندلس.
3. عيسى بن دينار، القرطبي الاندلسي، كان فقيه الاندلس. توفي 212هـ.
4. أسد بن الفرات بن سنان التونسي، كان عالما فقيها قائدا للجيش مات شهيدا سنة 213هـ بسرقوسة جمع بين فقه المدينة سمع الموطأ من مالك وفقه العراق إذ لقي أبا يوسف ومحمد بن الحسن، وله كتاب "الاسدية" التي هي الاصل لمدونة سحنون.
5. يحي بن يحي بن كثير الليثي: أندلسي قرطبي نشر مذهب مالك في الاندلس توفي 234هـ.
6. عبد الله بن حبيب بن سليمان السلمي: انفرد برئاسة الفقه المالكي بعد يحيى المذكور آنفا توفي سنة 238هـ.
7. سحنون: عبد السلام بن سعيد التنوخي، تفقه على علماء مصر والمدينة حتى صار فقيه أهل زمانه وشيخ عصره، وهو صاحب "المدونة" في مذهب مالك التي يعتمد عليها المالكية توفي سنة 240هـ.

وغير ذلك من التلاميذ الذين نشروا مذهبه في الحجاز والعراق.

وكان مالك. رحمه الله. يقتدي بشيخه كثيرا ابن هرمز الذي وجه ميوله وجهتها الصحيحة، واقتفى أثره في كل جانب من جوانب حياته العلمية، ولاسيما رده الشهير على المسائل الفقهية التي كان يتورع عن الافتاء فيها بقوله: "لاأدري" وكان ابن هرمز يقول: "ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول "لاأدري".

ولشدة حرصه على حفظ الحديث أنه كان يجلس حلقة الدرس ومعه خيط، فإذا حدث بحديث عن الرسول-صلى الله عليه وسلم. عقد عقدة حتى يعرف من عدد العقد عدد الاحاديث، ومقدار ماعلق بذاكرته منها. ولقد جاء في المدارك: إذا جلس ابن شهاب يحدث بثلاثين حديثا. يقول مالك:" فحدث يوما وعقدت حديثه فنسيت منه حديثا فلقيته فسألته عنه فقال:"ألم تكن في مجلسي؟قلت: بلى. قال: فمالك لم تحفظ؟قلت: ثلاثون، إنما ذهب عني منه واحد. فقال: لقد ذهب حفظ الناس، ماستودعت قلبي شيئا، قط، فنسيته، هات ماعندك؟ فسألته فأنبأني فانصرفت. ولشدة احترامه لهذا العلم، كان لايذهب إلى الدرس حتى يتوضأ ويتطيب احتراما وتقديسا لسنة الحبيب عليه الصلاة والسلام. فذاع صيته واشتهر في المشرق والمغرب بكتابه "الموطأ".

فقال الشافعي عن الموطأ"ما في الارض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك".

وقال أحمد بن حنبل:"ما أحسن الموطأ لمن دان به. وقال القاضي عياض:"لم يعتن بكتاب من كتب الحديث والعلم اعتناء الناس بالموطأ"ويلهج الشعراء بالثناء عليه فيقول بعضهم:

إذا ذكرت كتب العلوم فخيرها ... كتاب الموطأ من تصانيف مالك
أصح أسانيدا وأثبت سنـــة ... وأوضحها في الفقه نهجا لسالك
أسانيد أمثال الرواسي صحيحة ... ورأي كأنوار النجوم الشوابك

جلوس الامام مالك للدرس والافتاء:

بعد ولم أن اكتملت دراسة مالك في الاثر والفتيا اتخذ له مجلسا في المسجد النبوي للدرس والافتاء يتصدر هذا المجلس حتى شهد له شيوخه والذين أخذ عنهم بأنه أهل للتدريس والافتاء بالمسجد النبوي الشريف لأنه قال: لاخيرفي من يرى نفسه في حال لايراه الناس لها أهلا. بل كان يؤكد مرارا أنه لم يجلس للافتاء إلا بعد أن شهد له سبعون شيخا من أهل العلم أنه موضع لذلك وهو حدث لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره. وعندما سئل عن هذه العلوم كلها رغم حداثة سنه أجاب: بلسان مسؤول وقلب عقول. ولقد كان مجلسه يعج بالطلبة من كل حدب وصوب يتنافسون في أخذ العلم عن إمام دار الهجرة. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

ويذكر المؤرخون أن حلقات دروسه كانت تزدان بالوافدين من الشرق والغرب، وخاصة، من المغرب العربي بعدوتيه الاندلس والمغرب حيث عاد طلبته المغاربة بعلمه ومذهبه الرصين الذي عملوا على نشره في بقاع المغرب والاندلس، وهو المذهب المعتمد عندنا اليوم.

معيشته وعلاقته بالحكام:

لاقى مالك. رحمه الله. ضيق الرزق وتقتيره، وبسطة العيش وتيسيره وقد كان في الحالتين. يحمد الله. على ما اصبغ عليه سواء كانت خيرا أو شرا ولعله بعد أن علا قدره وبسطت له أسباب الرزق وكثرت جوائز الخلفاء انقطع عن التجارة والعمل الذي كان يكسب به قوته. فقد منحه الله من فضله ماسهل له الانصراف إلى العلم والاستغناء عن الاكتساب، مما دفع به أن يعيش في رغد من العيش دون أن يقتر على نفسه اقتداء بحديث رسول الله (ص):إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده."ونص الحديث:"كلوا واشربوا والبسوا في غير مخيلة ولاتكبر، إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده" وقد بدت هذه النعمة في مأكله ومشربه ومسكنه، ورغم ذلك فقد كان من الزهاد.

ولقد أدرك الامام مالك الدولتين الاسلاميتين اللتين اتسعت رقعة الاسلام في عهدهما وهما الدولة الاموية والدولة العباسية حيث كانت ولادة مالك في عهد الوليد بن عبد الملك فعايش جميع ملوك بني أمية الذين تولوا بعده ورأى خروج الخوارج وانتفاض العلويين وماينجم عن ذلك من مضار تلحق بالامة وينزل بها، كما زامن حكام بني العباس إلى عهد هارون الرشيد.

محنة مالك:

وفي عهد أبي جعفر المنصور نزلت بالامام مالك محنة سنة146هـ حيث ضرب في هذه المحنة بالسياط ومدت يده حتى انخلعت كتفه وقد اختلفوا في سببها على أقوال كثيرة أهمها وأشهرها أنه كان يحدث بحديث "ليس على مستكره طلاق". وأن مروجي الفتن اتخذوا من هذا الحديث حجة لبطلان بيعة أبي جعفر المنصور، وأن هذا ذاع وشاع في وقت خروج محمد النفس الزكية بالمدينة وان المنصور نهاه أن يحدث بهذا الحديث، ثم سر إليه من يسأله عنه، فحدث به على رؤوس الناس فضربه، ووجد الكائدون لمالك في ذلك فرصة للكيد له فأخبروا والي المدينة بذلك فكانت المحنة. وهو ماشهد له ابن عبد البر في انتقائه.

علم مالك ومواهبه:

بلغ الامام مالك ،رحمه الله ،من علم السنة الذروة، وبلغ من الفقه درجة صار فيها فقيه الحجاز الاوحد وبذلك جمع بين الحديث والفقه حتى صار إماما فيهما معا. وبعد كتابه "الموطأ" اول صحيح دون فيه الحديث وجمع فيه الفقه، ولقد نال من ثناء العلماء حظائم ينله عالم قبله، فقد اثنى عليه فقهاء الرأي وعلماء الحديث والسنة، وهو معتبر من كلا الفريقين.

ولقد شهد له عدد من العلماء بالصدارة والتفوق في الفقه والحديث منهم: ابو يوسف الذي قال: "مارأيت أعلم من ثلاثة: مالك، وابن أبي ليلى، وأبي حنيفة".

وقال عبد الرحمان بن مهدي:"ائمة الحديث الذين يقتدى بهم أربعة: سفيان الثوري بالكوفة ومالك بالحجاز والاوزاعي بالشام، وحماد بن زيد بالبصرة. ووازن بين الثوري والاوزاعي فقال: الثوري امام في الحديث وليس بامام في السنة، والاوزاعي إمام في السنة وليس بإمام في الحديث.

ومالك امام فيهما.

وقال معاصره سفيان بن عيينة رحم الله، مالكا ماكان أشد انتقاله للرجال

وقال الليث بن سعد: علم مالك علم تقى أمان لمن أخذ عنه من الانام.

وقال الشافعي" إذا جاءك الاثر عن مالك فشربه....وإذا جاء الخبر فمالك النجم...وإذا ذكر العلماء فمالك النجم. ولم يبلغ أحد في العلم مبلغ مالك لحفظه وإتقانه وصيانته، ومن أراد الحديث الصحيح فعليه بمالك.

وقال أحمد بن حنبل: مالك سيد من سادات أهل العلم وهو إمام في الحديث والفقه.

وهكذا تأتي شهادات العلماء بغزارة علم مالك ونزاهته في علمه وتقواه فيه، وإمامته في الحديث والفقه معاصما لم يتواتر لغيره من العلماء.

وأما مواهبه فقد آتاه الله حافظة واعية فإذا استمع إلى شيء استمع إليه في حرص ووعاه وعيا تاما حتى أنه يسمع نيفا وأربعين حديثا مرة واحدة فيحفظها حفظا متقنا متنا وسندا كدليل على قوة حافظته والتقاط ذاكرته القوية جريا على عادة أهل ذلك العصر من الاعتماد على الذاكرة والحفظ التي صيرت منه وعاء علم كما ذكر شيخه ابن شهاب الزهري. ومن مميزاته ما كان يتحلى به من الصبر والجلد والمثابرة ومغالبة المعوقات في الوصول إلى الغاية المرجوة التي هي تحصيل العلم، ولو أدى ذلك إلى الجلوس بباب الشيخ في شدة البرد الساعات الطوال انتظارا لخروج شيخه أملا في جني ما هو في أمس الحاجة إليه من علمه وعلم غيره من الشيوخ. كل ذلك كان نتيجة إخلاصه في طلب العلم وتفهمه واستيعابه ومما أثر عنه (ض) أنه كان يقول:"العلم نور لا يأنس إلا بقلب تقي خاشع" وكثيرا ما كان يردد على أسماع تلامذته:"مازهد أحد في الدنيا إلا أنطقه الله بالحكمة".

ومن مهابته لعلم الحديث أنه سأله سائل وقال:"مسألة خفيفة، فغضب وقال: مسألة خفيفة؟سهلة؟ليس في العلم شئ خفيف، أما سمعت قول الله تعالى"سنلقي عليك قولا ثقيلا"فالعلم كله ثقيل وخاصة مايسأل عنه يوم القيامة".

وكان بإخلاصه للكتاب والسنة يتحرز من أن يقول هذا حلال وهذا حرام، من غير نص منهما، وأما فيما يراه من غير الكتاب والسنة فيذكر رأيه من غير أن يقطع بحرمة، وكثيرا ما كان يعقب كلامه: إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين.

وكان يلح على ترك الجدال في الدين فيقول: الجدال في الدين ليس بشيء، ويقول أيضا: المراء والجدال في الدين يذهب بنور العلم من قلب العبد، ورأى قوما يتجادلون عنده فقام ونفض رداءه وقال: إنما أنتم في حرب.

وفاته:

وافل نجم هذا العالم الجليل والمحدث الكبير مالك رحمه الله صبيحة يوم14 من شهر ربيع الاول سنة 179 هـ بعد أن تشهد وقال:لله الامر من قبل ومن بعد وصلى عليه والي المدينة المنورة من قبل هارون الرشيد ودفن بالبقيع حيث مدفن الصحابة رضوان الله عليهم جميعا.

ولقد رثاه عبد الله بن سالم الخياط بقوله:

يأبى الجواب فما يراجع هيبة — والسائلون نواكس الاذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى — فهو المطاع وليس ذا سلطان

وكان عثمان بن كنانة ينشد هذه الابيات لبعض أهل المدينة في مالك رحمه الله، فيقول:

ألا إن فقد العلم في فقد مالك — فلا زال فينا صالح الحال مالـــك
فلولاه ما قامت حقوق كثيرة — ولولاه لانسدت علينا المسالـــك
يقيم سبيل الحق سرا وجهرة — ويهدي كما تهدي النجوم الشوابك

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة

العدد 976

السنة 35

الجمعة 18 ذو القعدة 1422 هـ

الموافق 01 فبراير2002 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

رقم الإيداع القانوني: 1994/160

الترقيم الدولي:ISSN: 4348

الاشتراكات السنوية

داخل المغرب: مائة وخمسون درهما

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة

العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط

الهاتف: 51 03 67 037

الفاكس: 93 45 67 037

السحب:
مطبعة فضالة- المحمدية - المغرب.

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية
وتعبر عن آراء أصحابها

طبع من هذا العدد 4000 نسخة

بيان

علماء المغرب ينددون بقرار السلطات الصهيونية في محاكمة سماحة مفتي القدس

بلغ إلى علم رابطة علماء المغرب قرار السلطات الصهيونية تحت إدارة السفاح شارون بتقديم سماحة مفتي القدس وفلسطين العلامة الدكتور عكرمة سعيد صبري الى المحاكمة ، بتهمة التحريض والتقاء شخصيات معادية للاحتلال خارج فلسطين خلال المؤتمرات الدولية، وأمام هذا القرار الجائر الذي اتخذته الطغمة الصهيونية المتنكرة لكل الاعراف الدولية والمعاهدات الهادفة إلى احلال السلام في منطقة الشرق الأوسط على أساس الشرعية الدولية المعترفة بحقوق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى الرسول الأكرم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

فإن علماء المغرب الذين ما فتئوا يندون في كل مناسبة بالتصرفات الصهيونية الحاقدة ضد الأماكن المقدسة في فلسطين عامة والقدس خاصة، التي تتعرض للتدنيس من طرف غلاتهم المستهترين بكل القيم والمواثيق الدولية، ليندون بهذا السلوك الشنيع ويطالبون من المنتظم الدولي التحرك العاجل لايقاف سياسة الغطرسةوارهاب الدولة الممارس ضد عالم جليل من علماء الاسلام ضدا عن الأعراف والتقاليد المتعارف عليها دوليا.

كما يعلنون تضامنهم المطلق مع فضيلته وهم الذين عرفوه عن قرب من خلال زياراته المتكررة للمغرب في مناسبات متعددة، وخاصة في شهر رمضان المعظم حيث يشارك في الدروس الحسنية الرمضانية صحبة علماء العالم الإسلامي مشرقا ومغربا.

كما يهيبون بعلماء الأمة الإسلامية ومحبي العدالة والسلام في كافة ربوع العالم ، إلى شجب هذا القرار المهين لابسط حقوق الانسان، وتكثيف جهودهم لوضع حد له، ولامثاله من القرارات الجائرة الهادفة إلى تهويد المقدسات الاسلامية بالقدس الشريف، وترويع ساكنته ومحاكمة رمز بارز من علماء الاسلام به ، والعمل على احلال الشرعية الدولية محل التنطع الصهيوني الرافض للسلام والوئام والذي يعتبر هذا المسلك الشنيع، والقرار الجائر الفضيع عربونا له، يستحق التنديد والشجب من كافة شعوب الأرض المحبة للسلام والعدل والإخاء .

ميثاق الرابطة

العدد 976 الجمعة 18 ذو القعدة 1422 هـ . الموافق 01 فبراير 2002م

أمير المؤمنين يدعو إلى تدخل فوري وحازم لانقاذ منطقة الشرق الأوسط

جلالته يؤكد أمام لجنة القدس أن السلام لن يتحقق إلا باعتماد التفاوض والحوار

بدعوة من أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس- حفظه الله- اجتمعت لجنة القدس بمدينة مراكش يوم الجمعة 11 ذي القعدة هـ 1422 الموافق 26/ 2002/01 بحضور كافة أعضائها. وقد ألقى جلالته كلمة سامية في المشاركين ضمنها ما يجب القيام به من طرف المجتمع الدولي لانصاف الأمة الإسلامية وإحقاق الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني، منها حقه في إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

وفي مايلي نص الخطاب الملكي السامي.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

أصحاب المعالي،

حضرات السيدات والسادة ،

نود في مستهل خطابنا أن نوجه تحية إكبار وصمود وتضامن لأخينا الرئيس ياسر عرفات الذي ندين بكل قوة الحصار الجائر الذي فرضته عليه سلطات الاحتلال الإسرائيلية والذي حال دون مشاركته إيانا كعادته اجتماع لجنة القدس الشريف.

ونغتنم هذه الفرصة لنؤكد من جديد لفخامة الرئيس ياسر عرفات وللمجتمع الدولي أن دعمنا له وللسلطة الوطنية الفلسطينية متواصل ومستمر وأن مساندتنا للشعب الفلسطيني الشقيق كاملة حتى تتحقق مطالبه العادلة وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

إن خطورة الأوضاع في الأراضي الفلسطينية وتدهورها بشكل غير مسبوق إلى درجة لم تعد تحتمل يفرض علينا القيام بعمل حازم يشد من أزر إخواننا الفلسطينيين ويعطيهم الشحنة اللازمة للاحساس بأنهم ليسوا وحدهم في مواجهة الغطرسة والعدوان.

إن هذه الظروف العصيبة تستوجب التمسك بالواقعية والتحلي بروح المسؤولية والقيام بكل مامن شأنه أن يستنهض الضمير الإنساني للوقوف في وجه مسبب المأساة التي يعانيها الأبرياء الفلسطينيون يوميا.

إن السياسة العدوانية التي تعتمدها السلطات الاسرائيلية تدفع بالمنطقة بكاملها إلى المجهول، وأن استمرارها المتعنت في ممارستها التي لا يقبلها منطق ولاشرع ستكون لها عواقب وخيمة على الأمن والاستقرار الدوليين، فسياسة القوة التي انتهجتها الحكومة الإسرائيلية لن تحل أي قضية بقدر ما ستولد المآسي وستؤدي إلى تفاقم العنف الذي لم يكن أبدا أساسا صالحا لحلول عادلة.

لقد أجهض رئيس الحكومة الإسرائيلية بذرائع ومبررات واهية كل المبادرات التي ساندها المجتمع الدولي وعلى رأسها تقرير ميتشل ومبادرة جورج تينيت المتكاملين . فبدلا من التعامل الإيجابي مع هذه المبادرات وغيرها من المساعي الدولية عمد شارون إلى تقويضها من خلال استعماله القوة العسكرية بهدف إضعاف السلطة الوطنية الفلسطينية وتحطيم رموزها ومؤسساتها، وبذلك يقضي على أسس الحوار والتفاوض باعتبارهما الوسيلة الحضارية المثلى التي ما فتئت الأمة الاسلامية تتمسك بها لإحلال السلام في المنطقة وفقا للشرعية الدولية.

إن الممارسات العدوانية الاسرائيلية لم تعد تحتمل صمت المجتمع الدولي الذي عليه أن يتحمل كافة مسؤولياته لأن انعكاسات هذا الموضع المتفجر لن تقتصر على منطقة الشرق الأوسط، وحدها، بل إنها لا قدر الله قد تمتد إلى أوسع من ذلك.

فلا أحد بمقدوره أن يتنبأ بما سيترتب عن بشاعة تلكم الممارسات .. مقدسات دينية تنتهك حرمتها منشآت وبيوت تهدم فوق رؤوس أصحابها أبرياء عزل يقتلون مدن محاصرة شعب يتعرض للتنكيل والتجويع وسلطة فلسطينية شرعية مهددة، فهذا الاثم والعدوان لا يزيد إلا في تأجيج أحاسيس ومشاعر الشعوب العربية والاسلامية نحو نصرة إخوان لهم.

ولذا نتوجه باسمكم جميعا، بنداء إلى كل الضمائر الحية في المجتمع الانساني مناشدين إياها أن تولي هذا الوضع المتفجر ما يستلزمه من وعي ومسؤولية لأن ما يحصل في الشرق الأوسط له انعكاسات مباشرة على السلم والاستقرار في العالم بأسره.

فالتدخل الفوري والحازم من قبل المجتمع الدولي، وخاصة، مجلس الأمن وراعيي السلام أصبح يفرض نفسه بكل إلحاح لإنقاذ المنطقة برمتها والعالم أجمع من مآس يمكن تفاديا بالعمل على إجبار إسرائيل على الانصياع للشرعية الدولية. ولا يمكن تحقيق السلام الذي ننشده إلا باعتماد التفاوض والحوار الذي يعد السبيل الأمثل لتطبيق الشرعية الدولية والعودة الفورية إلى مائدة المفاوضات دون قيد أو شرط وبالتزام صادق بالمقررات الأممية والاتفاقات والمبادرات التي قبلتها الأطراف المعنية.

أما الشعب الفلسطيني الشقيق صاحب القضية العادلة المعترف بها دوليا فقد برهن بقيادة أخينا فخامة الرئيس ياسر عرفات على انتهاجه الصادق سلوك الحوار والتفوض من أجل استرجاع حقوقه المشروعة والتعايش مع جيرانه.

وإننا لنؤكد للعالم أننا متشبثون بالسلام الذي اخترناه على إيمان واقتناع وسنظل متمسكين به إلى أن يتحقق الحل العادل والشامل والدائم ويقيم الشعب الفلسطيني دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف واثقين من أن الله تعالى سيكلل كفاحه بالنصر المبين ..وكان حقا علينا نصر المؤمنين، صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.